

صوتُ الْإِسْلَامِ  
فِي  
شِعْرٍ حَافِظَ إِبْرَاهِيمَ

د. جابر قميحة

دار الـأـهـلـةـ الـآـثـيـرـةـ

الطباعة والتوزيع

دار الصحوة

صَوْتُ الْإِسْلَامِ  
فِي  
شِرْحِ حَافَظْ إِبْرَاهِيمَ

د. جابر قميحة

دار الصحوة

دار المهدية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

نزل الامين جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى في غار حراء ، وسرت الدعوة الجديدة في الارواح والقلوب مسرى النور في الظلمات ، وأصبح للإسلام شراؤه كما أصبح له جنوده ورؤياته ، وردت السهول والنجود أشعارا تذكر الله ، وتبجل نبيه وتتغنى بالقيم العليا ... حسان بن ثابت ... عبد الله بن رواحه ... كعب بن زهير ... ثم احمد شوقي وأحمد محرم - وحافظ ابراهيم - وبين الجيلين أربعة عشر قرنا لم ينقطع فيها الشعر عن الاشادة بالاسلام ، وتعظيم حامل الرسالة بصفة خاصة « فقد كانت نورا نيته تتالق فوق كل دقة نغم تألق الشفق على امواج الغدير ... وجاء البارودى أبو الشعر الحديث ونظم عن الرسول الكثير والكثير ، ومن نتاجه هذه مطولته « كشف الغمة في مدح سيد الامة » وكأنه يمتد امتداد من سقه . ولكن في قوة ، وفي احساس بفنية عمله على نحو جديد (١) .

وتالى الشعرا ... وتتوالت الاسلاميات على ما هو معروف في تاريخ الادب الحديث ، وقد الف في هذا المجال عدد من الكتب لا يستهان به . وهـا نحن أولاء نحاول أن نلقى الضوء على شاعر ملء الدنيا وشغل الناس ، هو ورفيقه أحمد شوقي ... أقول نلقى على « اسلامياته » وهو ماأطلقنا عليه « صوت الاسلام في شعر حافظ » .

---

(١) احمد كمال زكي : محمد في الادب المعاصر ٩٦،٩٨

لقد كان للإسلام وما يتعلّق به صوت قوي في شعر حافظ . . . صوت سمعنا نبرته في البيت والبيتين هنا وهناك وصوت شدنا في قصائد كاملة منها مطولات . . . ونعني بالشعر الذي تردد فيه صوت الإسلام وتتجاوزت فيه أصواته عند حافظ ذلك الشعر الذي دار حول المحاور الآتية :

- ١ - الشخصيات الدينية والاسلامية مثل الانبياء والرسول والخلفاء والقادة والزعماء قديماً وحديثاً . وقد رصدنا «للعمري» فصلاً مستقلاً لأهميةها وشهرتها وقيمتها الفنية والتاريخية .
- ٢ - المناسبات الاسلامية كمولد النبي وهجرته .
- ٣ - القضايا الدينية والقيم الاسلامية التي رسخها الاسلام وبنى عليها دولته وأمته .
- ٤ - الاساليب والعبارات القرآنية والدينية ومكانها في شعر حافظ ، ومدى تأثره بها .

وقد حاولنا بقدر المستطاع أن نتبين منهج حافظ موضوعياً وفنرياً - في معالجة هذه الموضوعات . كما عقدنا موازنة بينه وبين صنوه شوفى في الموضوعات التي تسمح بمثل هذه الموازنة مبينين مدى توفيق أو تفوق كل منهما في هذا النطاق .

وأمل ألا تكون قد جانبت الصواب فيما عرضت ، وفيما استخلصت من أحكام أدبية ونقدية . والحمد لله رب العالمين .

د . جابر قميحة

الفصل الأول

الشخصيات

## الأنبياء والرسل

توطئة :

يلفت النظر في ديوان حافظ ابراهيم بجزئية أنه يشير فيه الى عشرات من الشخصيات الدينية كالأنبياء والرسل والصحابة وغيرهم من الشخصيات التي لعبت دوراً كبيراً على مسرح التاريخ الانساني الاسلامي والحضارة العربية : ويمكن تقسيم هذه الشخصيات الى فئات ثلاث :

- ١ - الأنبياء والرسل .
- ٢ - الصحابة .
- ٣ - الشخصيات الاسلامية الأخرى .

وبادىء ذى بدء نقرر حقيقة - سنعود اليها بالتفصيل ان شاء الله - وهى أن واحداً من هؤلاء - اذا استثنينا عمر بن الخطاب - لم يظفر بقصيدة مستقلة ولكن جاء ذكره في سياق قصيدة في المدح أو الهجاء أو الثناء و الشكوى أو ما شابه ذلك .

### أولاً : الأنبياء والرسل :

#### ١ - آدم أبو البشر :

وحافظ ينظر اليه مرتبطاً بشقاء البشر الذي خلفه لبنيه وهو في ذلك ينحو منهج أبي العلاء المعري في قوله الشهير :

هذا جناه أبي على وما جنيت على أحد

يقول حافظ مخاطباً آدم أباً البشر :  
 سليل الطين كم نلنا شقاء  
 وكم خطت أناملنا ضريحاً (١)

## ٢ - نوح :

وهو يذكر نوحاً كذلك في مقام النعمة والشكوى والتبرم  
 بالحياة فيتمنى لو أن نوحاً ما حمل في سفينته بل تركهم  
 بغركم الطوفان فيستريح البشر من الحياة :

ويا نوحاً جنيت على البرايا  
 ولم تمنحهم الود الصحيحاً  
 علام حملتهم في الفلك هلا  
 تركتهم فكنت لهم مريحاً (٢)

وهو يلح على نفس المعنى بعد سنوات عديدة فيرى أن  
 الأرض بما فيها من آثار وتشاحن وبغضه لمن ينقذها إلا مثل  
 طوفان نوح :

ان دام مانحن فيه من مداربة  
 وفتنة بين اجناس وأديان  
 رأيت رأى المعرى حين أرهقه  
 ما حل بالناس من بغى وعدوان

(١) الديوان ١١٢/٢ .

(٢) الديوان ١١٣/٢ . ونلاحظ أن حافظ ابراهيم في هذه  
 القصيدة قد أشار إلى «اسحاق» الذبيح خلافاً للمشهور عند  
 العلماء من أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق (أنظر في تحقيق  
 ذلك : قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار .

لاتطهر الارض من رجس ومن درن  
حتى يعاودها نوح ببطوفان (٣)

### ٣ - ابراهيم :

وهو يعرض لابراهيم - عليه السلام - في سياق وصفه  
للشمس ويضمن هذا الوصف مشهد الجدل بين ابراهيم وقومه  
وما كان من براعة ابراهيم في توظيف آيتين من آيات الله هما  
الشمس والقمر في دعوة قومة الى الايمان بخالقهم (٤) .

لاح منها حاجب للناظرين  
فنسوا بالليل وضاح الجبين  
ومحث آيتها آيتها  
وتبدت فتنه للعالمين  
نظر ابراهام فيها نظرة  
فارى الشك وماضل اليقين  
قال ذا ربى ، فلما أفلت  
(قال : انى لا أحب الكفلين)  
ودعا القوم الى خالقها  
وأتى القوم بسلطان مبين (٥)

---

(٢) الديوان ١٤٠/١ . وهو يشير بذلك الى قول أبي  
العلام المقرى :  
والارض للطوفان مشتقة

لعلها من درن تغسل  
(٤) فصلت هذا الحوار سورة الانعام في الآيات من ٧٦  
إلى ٧٩ .

(٥) ديوان حافظ ٢٠٧/١ .

#### ٤ - يوسف :

ولم ييرز حافظ شيئاً من ملامح شخصية يوسف - عليه السلام - في الابيات التي أوردها في سياق قصائده ماعدا الحكمة والعلم في بيت واحد في قصيدة يمدح بها الامام محمد عبده ويشبهه في هذين الملحمين بيوسف عليه السلام فيقول :

رأيتك في الافتاء لا تغضب الحجا  
كأنك في الافتاء والعلم يوسف (٦)

اما ما عدا ذلك فلا يتعدى اشارات تاريخية لوقائع وأحداث في حياة يوسف عليه السلام لم يفلح حافظ في توظيفها التوظيف الفنى الحى في سياق قصائده كواقعه بيع يوسف غلاما في مقام حديثة عن ظلم الايام التي أزرت بالناس .

وباعت (يوسف) بيع الموالى  
وألقت في يد القوم المسيحا (٧)

وأكثر من ذلك افتعالاً ماذكره حافظ عن يوسف حين طلب من صاحبه الذى يبرح السجن أن « يذكره عند ربه » أى عند العزيز . فهو يتمنى أن يكون سجيناً « مصفداً » ويدرك أن يوسف لو كان حياً ما تمنى أن يغادر السجن لأن رفعت بك تولى وكالة مصنحة السجون فهو يهنته قائلاً :

أهنيك أم أشكو فرافق قائلًا  
الا ليتنى كنت السجين المصفدا

---

(٦) الدبوان ٢٣/١ وهو بذلك بشير الى قوله تعالى عن يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً ، وكذلك نجزى المحسنين » يوسف ٢٢ .  
(٧) الدبوان ١١٣/٢

يـ  
ةـ  
هـ

ئـ  
نـ  
ماـ

لـ  
بـ  
عـ  
أـ  
كـ

عـ  
ذـ

فـ لو كـنـتـ فـي عـهـدـ (ابـنـ يـعقوـبـ) لـمـ يـقـلـ  
لـصـاحـبـهـ أـذـكـرـنـىـ وـلـاـ تـنـسـىـ غـداـ(٨ـ)

٥ـ - مـوـسـىـ :

وـفـ قـصـائـدـ مـتـعـدـدـ يـشـيرـ حـافـظـ اـبـرـاهـيمـ إـلـىـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ  
الـسـلـامـ .ـ فـهـوـ يـهـنـىـءـ الـخـدـيـوـيـ عـبـاسـ الثـانـىـ بـعـيدـ الـاضـحـىـ  
سـنـةـ ١٣٢١ـ هـ (١٩٠٤ـ)ـ مـشـيرـاـ إـلـىـ سـعـةـ مـلـكـهـ وـسـلـطـانـهـ :

مـنـ كـرـدـفـانـ إـلـىـ مـصـرـ إـلـىـ جـبـلـ  
عـلـيـهـ كـلـمـهـ مـوـسـىـ بـنـ عـمـرـانـ(٩ـ)

وـمـنـ أـرـوـعـ قـصـائـدـ تـلـكـ التـىـ هـنـاـ بـهـاـ أـحـمـدـ شـوـقـىـ فـيـ  
حـفـلـ تـكـرـيمـهـ وـتـنـصـيبـهـ أـمـيرـاـ لـلـشـعـرـاءـ اـذـ دـفـعـ عـنـ شـوـقـىـ تـهـمـةـ  
الـعـىـ وـالـحـضـرـ دـفـعـاـ جـمـيـلاـ .ـ .ـ .ـ فـمـنـ الـمـعـرـوفـ أـنـ «ـشـوـقـىـ»ـ لـمـ  
كـنـ يـنـشـدـ شـعـرـهـ بـنـفـسـهـ بـلـ يـكـلـفـ غـيـرـهـ بـاـشـادـهـ .ـ

وـيـجـدـ حـافـظـ فـيـ اـسـتـعـانـةـ مـوـسـىـ بـهـارـونـ مـاـ يـدـفـعـ عـنـ  
شـوـقـىـ هـذـهـ التـهـمـةـ فـيـقـولـ :

يـعـيـبـونـ شـوـقـىـ أـنـ يـرـىـ غـيـرـ مـنـشـدـ  
وـمـاـذـاـكـ عـنـ عـىـ بـهـ أـوـ تـرـفـعـ  
وـمـاـ كـانـ عـابـاـ أـنـ يـجـيـءـ بـمـنـشـدـ  
لـايـاتـهـ أـوـ أـنـ يـجـيـءـ بـمـسـمعـ

---

(٨ـ) الـديـوـانـ ٣٣/١ـ جـاءـ فـيـ سـوـرـةـ يـوـسـفـ :ـ الـآـيـةـ ٤ـ٢ـ  
«ـ وـقـالـ لـلـذـىـ ظـنـ أـنـهـ نـاجـ مـنـهـمـ أـذـكـرـنـىـ عـنـدـ رـبـكـ ،ـ فـانـسـاهـ  
الـشـيـطـانـ ذـكـرـ رـبـهـ ،ـ فـلـبـثـ فـيـ السـجـنـ بـضـعـ سـنـينـ »ـ .ـ وـأـنـظـرـ  
أـشـارـةـ حـافـظـ إـلـىـ قـصـةـ رـؤـياـ فـتـىـ العـزـيزـ فـيـ السـجـنـ ٣٤١/١ـ .ـ

فهذا كليم الله قد جاء قبله  
بهارون ما يأمره بالوحى يصدع (١٠)

ويشير كذلك الى موسى وآياته التسع في قصيدة قرط بها  
كتاب محمد المولى «حديث عيسى بن هشام» فيقول :  
هذا كتابك قد حكت آياته  
آيات موسى التسع في الاكثار (١١)

ويجيء ذكره موسى كذلك في مقام التعبير عن اعجابه  
المفرط بالمعنى الاسرائيلي «جاك رومانو» فيرى أن «العود»  
في يده كالعصا في يد موسى ... كلاهما معجزة :

---

(١٠) الديوان ١١٢/١ . وتشبيه شوقى بموسى في هذا  
التمثيل لا يخدم الغرض الذى تغياه حافظ منه وهو دفع العى  
عن شوقى فقد كان موسى يدعوه ربه « واحلل عقدة من لسانى  
يفقهوا قولى » طه ٢٧ . وكان منطق فرعون مشير لموسى « أم  
أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبین » الزحف ٥٢  
وكانت هذه العقدة هي الباعث الذى حدا به الى دعوة  
ربه أن يعينه في دعوته باخيه هارون « ويضيق صدرى  
ولا بنطلق لسانى فأرسل الى هارون » الشعراء ١٣ .  
« وأخى هارون هو أفعى منى لساناً فارسله معى رديعاً  
يصدقنى أنى أخاف أن يكذبون » القصص ٣٤ .

(١١) الديوان ١٥١/١ اشارة الى قوله تعالى « ولقد  
آتينا موسى تسعة آيات بينات فسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم »  
الاسراء ١٠١ وفي تفصيل هذه الآيات انظر النجار : قصص  
الأنبياء ١٩٧ .

قد جاء موسى بالعصا وأتيتنا  
بالعود يشدو في يديك وينطق (١٢)  
٦ - سليمان :

ويتحدث حافظ عنه في الماع خاطف مشيرا إلى ملكه العظيم  
في سياق رثائه لمحمود سامي البارودي فيقول مخاطبا إياه :

لبيك يامؤنس الموتى وموحشنا  
يا فارس الشعر والهيجاء والجود  
ملك القلوب - وأنت المستقل به  
أبقى على الدهر من ملك أبي داود (١٣)

وهي صورة رائعة على بساطتها تؤكد حقيقة أزلية مؤداها  
أن الثروة الحقيقة هي حب الناس لاسعة السلطان وإنجاه  
والسيادة (١٤) .

ولكن الافتعال يطل برأسه حين يحاول أن يربط حافظ  
ابراهيم بين سليمان أباطة باشا ناظر المعارف سليمان بن  
داود عليهمما السلام وليس ثمة وشحة بينهما أكثر من أن هذا  
هو سمي ذاك ، وهي أبيات لا يستطيع القارئ حين يقرأها  
أن يملك نفسه من السخرية بل الامتعاض والغثيان يقول حافظ

(١٢) الديوان ٢٢٢/١ . وأنظر كذلك ذكره لموسى في  
٢١/١ ، ٦٤/١ ، ١٢٨/٢ .  
(١٣) الديوان ١٣٩/٢ .

(١٤) الديوان ٣٧/١ . وأنظر كذلك الديوان ١٦١/١ حيث  
يشير في بيتهن إلى سخير الريح لسليمان عليه السلام . ، ص  
١٦٤ اذ يشير إلى عظمة سليمان وملكه في الدنيا مما لم يؤته  
الله أحدا .

من قصيده في تهنئة سليمان أبااظة باشا بابلاه من مرض  
الم به :

«سليمان» ذكرت الزمان وأهله  
بعز سليمان واقبال دنياه  
اذا سرت يوما حذر النمل بعضه  
مخافة جيش من مواليك يغشاه  
وان كنت في روض تغنت طيوره  
وصاحت على الافتان : يحرسك الله  
وكان ( ابن داود ) له الريح خادم  
وتخدمك الايام والسعـد والجـاه ( ١٥ )

و واضح أنه نوع من التهريج الأدبي أو اللا أدبي يعتمد  
كما قلت على رابطة أوهى من بيت العنكبوت ، وهى الاشتراك  
في الاسم .. ويتجنح حافظ في هذه الابيات شأنه في مطالع  
حياته الأدبية الى الاغراق في المبالغة .. وهو ما يرفضه العقل ،  
ويلفظه الذوق السليم ، لأنـه لا يمثل تجربة نفسية وانفعالـا  
صادقا . والشعر الجـيد - كما يقول طـه حسين - يمتاز قبل  
كل شيء بأنه مـرأة لما في نفس الشاعـر من عـاطفة ، مـرأة تمثل  
هذه العـاطفة تمثيلا فطـريا بـرـيئـا من التـكـلـف والـمحاـولة ، فـإذا  
خلـت نفس الشاعـر من عـاطـفة ، أو عـجزـت هذه العـاطـفة عنـ أن  
تنـطق لـسانـ الشاعـر بما يـمـاثـلـها فـليـسـ هـنـاكـ شـعـرـ وـانـماـ هـنـاكـ  
نظم لـاغـنـاءـ فـيـهـ ( ١٦ ) .

---

( ١٥ ) الـديـوانـ ٣٧/١

( ١٦ ) طـهـ حسينـ : حـافـظـ وـشـوـقـىـ ٩٩ .

ويشير حافظ الى عيسى بن مریم اشارات عابرة في مواضع لاتتعدى أصابع اليد الواحدة ، فيذكره في القصيدة التي رشى بها سليمان أبااظة باشا سنة ١٨٩٧ وفيها يخاطبه بقوله :

شوقتنا للترب بعدك واشتهى  
فيه الاقامة واحد العذراء (١٧)

فحب الخلاق للمرثى يجعلهم يشتفون الى الموت ليجاوروا سليمان فيه .. حتى المسيح بن مریم انه ليتمنى أن يتخلى عن مكانه في السماء حيث رفعه الله وأن يدفن في التراب ليكون في جوار المرثى .. واضح ما في ذلك من الركبة وتفاهة المعنى والاغراق في المبالغة .

وربما كان الأقرب الى الصدق الفنى والبعد عن الافتعال والتعسف أن يذكر الشاعر المسيح عليه السلام في مقام حديثه عن أطباء مصر المهرة البارعين في الجراحة والعلاج :

ومطبيب للعين يحمل ميله  
نورا اذا غشى العيون ققام  
وكان ائمده ضياء ذره  
(عيسى بن مریم) فانجلی الاظلام (١٨)

فالسيد المسيح مكانه المرموق في هذا المجال كما ذكر القرآن الكريم فقد كان كما يقول القرآن على لسانه :

(١٧) الديوان ١٣٦/٢

(١٨) الديوان ١٨٨/٢ . وأنظر اشارته للمسيح كذلك ١١٣/٢ ، ٧٣/٢

« وأبرىء الأكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله » (١٩)  
ويقول عنه تعالى « وتبريء الأكمه والابرص باذنِي ،  
وإذ تخرج الموتى باذنِي » (٢٠) .

## ٨ - محمد عليه السلام :

لحفظ قصائد كاملة في المناسبات الاسلامية التي ترتبط  
بمولد الرسول وهجرته . سعرض لها فيما بعد . ولكن يذكر  
محمدًا عليه السلام في أبيات مفردة على سبيل الاشارة والامانع ،  
وهو يذكره في هذه الابيات القليلة مرتبطا بالرسل الاخرين أو  
بالكتب السماوية الاخرى فيقول في سياق قصيده التي يهنىء  
فيها الخديوي عباس الثاني بقدومه من الحج :

أسير خلال الركب نحو حظيرة  
على ريها صلى الله وسلمـا  
الى خير خلق الله من جاء ناطقا  
بآياته انجيل عيسى بن مریما (٢١)

وحافظ بذلك يؤكد أهمية الاسلام وجذوره الضاربة في تربة  
الاديان السماوية السابقة .

وقد يكون لهذا التأكيد فائدة عملية وثيقة في زرع روح  
المحبة بين المسلمين والاقباط ، ويوضع حافظ من دائرة هذـر

---

(١٩) الآية ٤٩ آل عمران .

(٢٠) المائدة ١١٠ وأنظر في معجزات عيسى هذه قصص  
القرآن للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٠٨ - ٤٢١ .

(٢١) الديوان .

الروح لتشمل الاديان الثلاثة والرسل الثلاثة ، فيقول وهو يهنىء  
السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (١٩٠٨) :

يرعى لموسى وال المسيح وأحمد  
حق الولاء وحرمة الاديان

فخذوا المواقف والمعهود على هدى التوراة والانجيل  
والفرقان (٢٢) .

ولا يكاد حافظ يشير الى ذكر النبى عليه السلام مفردا  
بلا رابطة بينه وبين غيره من الانبياء والرسل ، او وبينه وبين  
الاديان والكتب السماوية الاخرى اذا استثنينا قول حافظ في  
فيكتور هوجو :

ساعه الا يرى في قومه  
مسيرة الاسلام في عهد النبى (٢٣)

---

٤٦/١ ) السابق ( ٢٢ )

٤٠/١ ) السابق ( ٢٣ )

## الصحابية والشخصيات الإسلامية

اذا استثنينا - مطولة حافظ في عمر بن الخطاب - لم نجد له قصيدة ولا حتى مقطوعة متكاملة في شخصية من شخصيات الصحابة أو الشخصيات التي لعبت دورا فعالة في تاريخ الاسلام والمسلمين .. انما جاء الحديث عن هؤلاء كحديثة عن الانبياء والرسل ... حديثا عابرا لا يقصد حافظ من ورائه الى رسم بعد من أبعاد الشخصية أو تجسيد قيمة من قيمها انما كان هدفه الاساسى تمجيد المدحوب أو المرثى بتشبيهه بشخصية من هذه الشخصيات من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وحسان بن ثابت وعمرو بن العاص وأبى دجانة والاحنف بن قيس وهارون الرشيد وعلى زين العابدين والمعز لدين الله الفاطمى وجمال الدين الأفغاني . وأغلب هؤلاء لم يعرض لهم حافظ الا مرة واحدة أو مرتين عدا عمر بن الخطاب الذى ذكره في مواقف متعددة .

فهو يرثى عبد الحليم المصرى سنة ١٩٢٢ وهو الشاعر الذى نظم مطولة عن أبي بكر الصديق (١) وفي هذا الرثاء يقول حافظ مخاطبا عبد الحليم المصرى :

سامر أبا بكر هناك فانه  
سيظفر في عدن بخير مسامر (٢)

---

(١) وقد بدأها المصرى بقوله :  
اقضنى أبا بكر عليهم قوافيا  
وأمطر لسانى حكمه ومعانى  
• ٢٠٢/٢ ) الدبوان (

وهو البيت الوحيد الذى ذكر فيه أبا بكر رضى الله عنه .  
وذكره قبل ذلك مرة واحدة مقورونا بعمر بن الخطاب في قصيدة  
يمنىء فيها السلطان حسين كامل بالسلطنة .. ويفرق في  
 مدحه اغراقا غير مستساغ فيخاطبه قائلا :

وجدد سيرة العرميين فيينا  
فائق بيننا الله ظل (٣)

أما عثمان بن عفان فلم يشر حافظ اليه الا من ناحية  
 جمعه للقرآن وذلك في تقريره لكتابين الكتاب الاول هو «فحول  
 البلاغة » للسيد توفيق البكري فيقول فيه حافظ (١٣١٣هـ) :

هذا كتاب مذ بدا سره  
للناس قالوا معجز ثانى  
أثابك الله على جمעה  
ثواب عثمان بن عفان (٤)

والكتاب الثاني هو كتاب «مرأة العروض » للشيخ أحمد  
 عثمان المحرزى وهو مطبوع سنة (١٣٣٥) . وقد قرظه حافظ  
 بثلاثة أبيات أولها :

(عثمان) انك قد أثبتت موقفا  
ش روی سمیک جامع التنزیل (٥)

---

(٣) الديوان ٦٨/١ ، العمران هما أبو بكر وعمر - رضى الله عنهم - ويقال لهما الشیخان لذلك .

(٤) الديوان ١٤٨/١

(٥) الديوان ١٥٣/١ : وش روی سمیک اوی مثل سمیک : عثمان بن عفان جامع القرآن - رضى الله عنه .

ولم يرد ذكر على بن أبي طالب في ديوان حافظ  
الا مفرونا بذكر عمر بن الخطاب ولم يزد ذلك على مرتين :  
الاولى : وهو يهنىء الامام محمد عبده بمنصب الافتاء  
١٣١٧هـ - ١٨٩٩م ) اذ يقول :

رأيتك والابصار حولك خشع  
فقلت (أبو حفص) ببرديك ألم على (٦)

والثانية : بعد ذلك بربع قرن (سنة ١٩٢٤) وهو يهنىء  
سعد زغلول بالنجاة من محاولة اغتياله : فيبين أن لكل عصر  
جناه ومن هؤلاء الجناء من :

جاروا على الفاروق أعدل من قضى  
فيينا وزكي رأيه التنزيل  
وعلى على وهو أظهرنا فما  
ويدا وسيف نبينا المسنون (٧)

اما عمر بن الخطاب فيظفر بالنصيب الاولى من اهتمام  
حافظ . وهو المثل الاعلى الذي يشبه به الامراء والزعماء  
والعظماء في مدائحه وفي مراثيه فهو يرى أن الامام محمد عبده  
كانه عمر زمانه وفاروق عصره :

رأيت فيها بساطا جل ناسجه  
عليه فاروق هذا الوقت يختال (٨)

---

(٦) الديوان ٤/١ .

(٧) الديوان ١٣/١ .

(٨) الديوان ٦/١ .

فهو يتبع طريقة ويسلاك سبيله :  
 وتفانيك في سبيل ابى حفص  
 ومسعاك عند دفع المصاب (٩)

وهو في نظرة رمز في أسمى صورة وأرقى مراتبة فيهنىء  
 الملك الانجليزى العادل ادوارد السابع (١٨٤١ - ١٩١٠) بعد  
 تتويجه ويرى أنه في هذا العدل يذكره بعمر بن الخطاب فكان  
 يسلك سبيله :

هم يذكرونك ان عدوا عدو لهم  
 ونحن نذكر ان عدوا لنا (عمرا)  
 كأنما أنت تجرى في طريقته  
 عدلا وحلما وايقاعا بمن أشرأ (١٠)

ويشيه به «شوكت» أحد زعماء الاتحاد والترقي لانه  
 حمى الدستور وحرص على الحق :

فمن يطلب الدستور بالسوء بعدهما  
 حفته يد الفاروق فالله طالبه  
 اذا (شوكت) الفاروق قام مناديا  
 الى الحق لباء (نيازى) وصاحبها (١١)

وابلغ من ذلك وأدل على شخصية الفاروق غضبته للحق  
 ولرسول عليه السلام وقد ساق حافظ ذلك في مقام رئائه لمصطفى  
 كامل سنة ١٩٠٨ فيقول مخاطبا اياه :

(٩) السابق ٢٥/١

(١٠) السابق ٢٠/١

(١١) الديوان ٤٨/٢

قد كنت تغضب للكنافة كلما

حمت وهم رجاؤها بعثار  
غضب التقى لربه وكتابه  
أو غضبة الفاروق للمختار (١٢)

وكل أولئك يدل على شدة تعلق حافظ ابراهيم وحبه لعمر  
بصفة خاصة واعتزازه به . . . ولم يعد حافظ يكتفى بهذه  
المعانى الجزئية والاشارة الى عمر بالبيت والبيتين على هذا  
النحو التقليدي بل خصه وأفرده بعد ذلك بمطولته المشهورة  
التي نظمها سنة ١٩١٨ والتي بلغت مائة وسبعة وثمانين  
بيتاً (١٣) وكانت ولاشك تطوراً موضوعياً وفنرياً كبيراً في  
مجال الشعر التاريخي .

ومن تمام القول . . . وقبل أن نقف وقفه متأنية عند  
عمرية حافظ ننتبين منهجه الفكري والفنى فيها ننوه الى أن  
«حافظ قد أشار أيضاً على سبيل الاماع الى شخصيات اسلامية  
أخرى ، منهم الخلفاء كالرشيد والمعز لدين الله الفاطمى ،  
صلاح الدين الايوبي . ومنهم الولاة كعمرو بن العاص والاحنف  
بن قيس ، ومنهم الشعراة كحسان بن ثابت والفرزدق ومنهم  
الدعاة والمصلحون كعلى زين العابدين وجمال الدين الافغاني .

وكعهدنا بحافظ لا ينطلق راسماً أبعاد هذه الشخصيات  
أو متعمقاً موقفاً من موافقه . . . بل يأتي ذكر هذه الشخصيات

---

(١٢) الديوان ١٥٢/٢ .

(١٣) ذكر عبد الحميد الجندي في كتابه عن حافظ ص  
١٤٨ أن عداتها ٢٨٦ بيتاً وال الصحيح ما ذكرناه .

كما قلنا من قبل في سياق قصائد المدح والتهانى والرثاء وغيرها  
هادفاً من وراء ذكرها رفع قيمة الشخصية التي يتحدث عنها  
حين يشبهها بهذه الشخصيات التاريخية فهو يمدح السلطان  
عبد الحميد ويزعم أن « مدحته عزت شواردها على  
حسان » (١٤) وشعراء لبنان في ظلال الطبيعة الساحرة  
أخصبوا قرائتهم « فأعجزت واعادة عهد حسان » (١٥)  
والآمام محمد عبدة :

تجلى «جمال الدين» في نور وجهه  
وأشرق في أنساء بردية أحنت (١٦)

وهو يمدح الملك فؤاد ( في ١٥ مارس ١٩٢٣ ) في سياق  
قصيده عيد الاستقلال ويرى أنه حين تولى عرش مصر ذكرت  
مصر « عرش المعز بها وعرش صلاح » (١٧) ويمدح عباس  
حلمي الثاني في حين حج بيت الله الحرام ( ١٣٢٧ - ١٩٠٩ )  
بأنه لما استلم الركن هاجت شجون الركن حتى :

تذكرة ( زين العابدين ) وجده  
وما كان من قول الفرزدق فيما (١٨)

(١٤) أنظر الديوان . ٥٠/١

(١٥) السابق . ١٣٦/١

(١٦) السابق . ٢٣/١

(١٧) السابق . ١٠٠/٢

(١٨) الديوان ٥٢/١ : حافظ غير موفق في هذا الاستشهاد  
لأن الفرزدق مدح على زين العابدين تحدياً لعبد الملك مروان  
حين سأله في استصفائه من هذا ؟ الرابطة الشبيهة بين الاميرين  
وقد تكون أقرب إلى الذهن منها بيد الخديوي وعلى زين  
العابدين .

ومن هذا القبيل تشبيهه عبد الخالق ثروت في دهائه بعمرو بن العاصي (١٩) وتمضي هذه الأسماء التاريخية في هذا النطاق الضيق المخنوق لها وظيفة فذة وهي رفع قيمة المدح أو المرثى أو المها حين تكون مشبها بها غالبا ، ولم يحرك حافظ شخصية من هذه الشخصيات لتعطيها مشهدا كاملا أو صورة ممتدة ذات أبعاد إلا نادرا . ومن هذه الصور النادرة ما قاله عمرو بن العاص في حديثه عن مصر :

قد قال عمرو في ثراها آية  
مؤثرة نقشت على الالواح

بيتا تراء لائما وكانما  
نثرت بتريته عقود ملاح  
وإذا به للنااظرين زمرد  
يشفيك أخضره من الاتراح  
وإذا به مسک تشق سوده  
شق الاديم محارت الفلاح (٢٠)

وعودا على پدء نقرر في ايجاز أن موقف حافظ في معالجته لشخصيات الانبياء والرسل والصحابه والشخصيات التاريخية القديمة يتلخص فيما يلى :

(١٩) أنظر الديوان . ٢٣٠

(٢٠) الديوان ١٠١/٢ ويريد بالآلية رسالة عمرو بن العاص الى عمر يصف فيها مصر ومما جاء فيها « في بينما هي يا أمير المؤمنين دره بيضاء ، اذا هى عنبره سوداء ، وإذا هى زبرجدة بيضاء ، فتعالى الله الفعال لما يشاء » أنظر الرسالة كلها ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ من كتاب « نظام الحكومة النبوية » المسمى « التراتيب الادارية ٢٤ للشيخ عبد الحى الكتانى » .

رو  
ذا  
وح  
يك  
أو  
رة

بته  
لة  
ن  
سى  
إذا  
مالة  
مى

١ - الإيجاز الشديد فاغلب هذه الشخصيات يوردها حافظ على سبيل الالاماع بل الالاماع دون تعميق أو بسط لابعادها .

٢ - وذكره لها لم يكن مقصوداً لذاته انما يذكرها حافظ في مقام قصائد في المدح أو التهنئة أو الشكوى أو الرثاء أو ما شابه ذلك لرابطة شبيهة يراها أو يتوهمنها بينها وبين الشخصية الاصلية موضوع القصيدة .

٣ - كما أنه يلتقط من الشخصية أبرز ما اشتهرت به في التاريخ من صفة أو ما أرتبطت من واقعة وكانت به نموذجاً يحتذى ومثلاً سائراً :

- فموسى مشهور بعصاه وأياته التسع .

- وعيسى بقدرته على ابراء الاكمة والابرص - ويوسف بالتأويل وتعبير الرؤى - وعثمان بن عفان يذكره حافظ باشهر مواقفه وأجل خدماته للإسلام وهو جمع القرآن - وعمر عرف قبل خلافته وأثنائه بحزمه وشدة غضبته للحق .

٤ - وقد يأتي الالاماع الى الشخصية بصورة عامة دون تحديد لوصف من أوصافها أو اشاره الى موقف من مواقفها أو حدث أو عمل يرتبط بها كما حدث أحياناً في اشارته الى موسى وعيسى وأبى بكر وعمر وغيرهم .

## الامام محمد عبده

( ١٩٠٥ - ١٨٤٩ )

كان الامام محمد اهم شخصية دينية شغلت التاريخ المصري في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولم يبالغ الشيخ محمد مصطفى المراغي حين قال عنه «اعتقد اننا اذا جاوزنا عصر السلف لانجد رجال رزق فهما في هداية القرآن ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمارانية مثل الامام محمد عبده ، ولقد وهب الله شروط الامامة الدينية جميعها كما منحه التبصر في أمور الدنيا .

## ويقول د. تشارلز آدمز

وقد لا نعدو الحق اذا قررنا أن المدرسة الحديثة مدينة في وجودها نفسه الى الاستاذ الامام ، وأنها في كثير من الامور الجوهرية مشتقة منة وصادرة عنه (١) .

وكان كذلك مصلحا في الادب واللغة فهو الذي أخرج كتاباتنا الصحفية من الدائرة البالية العتيقة دائرة السجع وما يرتبط به من أنواع البديع الى دائرة الاسلوب الحر السليم ، وكان على رأس من طوعوا هذا الاسلوب ومرنوه على تحمل المعانى السياسية والاجتماعية الجديدة (٢) .

---

(١) عبد الجود سليمان : الشيخ محمد عبده امام المجددين في الاسلام ص ٨ ش

(٢) ضيف : الادب العربي المعاصر في مصر . ٢٢٧ .

ولما تبرم حافظ وضاق ذرعاً بالعيش في السودان أرسل كتابين إلى الإمام محمد عبده يشكو فيهما سوء حاله ويستنجد به ليتوسط لدى المسؤولين لنقله إلى القاهرة (٣) .

ولما عاد إلى مصر أزدادت صلته بالامام توثقاً وكان يجالسه كثيراً في دروسه وكان الإمام دائماً يعطف عليه ويمده بما يحتاج (٤) .

وقد روى العقاد نفلاً عن حافظ إبراهيم نفسه أن الإمام محمد عبده تسلم من حافظ أكثر نسخ قصة «البؤساء» بعد صدور الجزء الأول ثم أسلم حافظ من ثمنها ما يكفيه سنوات لولا أن رزق السنوات - كما يقول العقاد - لا يجاوز في يدي حافظ مدى الشهور (٥) . وظل عائشاً في كنفه وبره خمس سنوات قلماً كان يفارق مجلسه فيها ففأدار منه علماء وخلقوا وأدراكاً صحيحاً لشئون الحياة كما أفاد من مجلسه التعرف إلى عظام مصر وكبار رجالتها وقادتها الرأى فيها أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم من زعماء السياسة والفكر والآداب (٦) .

---

(٣) أرسل حافظ إلى شرقى السودان سنة ١٨٩٦ والحق بسلاح المدفعية (الطبجية) ثم جعل بين القائمين على أقوات الجيش (التعيينات) وأحيل إلى الاستيداع بعد ذلك في ١٩٠٠/٥/٣ (أنظر الجندي ٢٣ ومقدمة الديوان ص ٤) .

(٤) أنظر الطناحي شوقى وحافظ من ص ١١٥ إلى ص ١٢٠ وأنظر أحمد أمين مقدمة الديوان ص ١٢ - ص ١٥ .

(٥) العقاد : محمد عبده ص ٢٥٦ .

(٦) الجندي ٩٢ .

وكان من طبيعة الامام محمد عبد الكرم الفياض والاحسان  
الذى لا ينقطع على ذوى الحاجات من الناس ... قال حافظ  
بعد موت الامام « وقد رأيت فى ماتته شخصا يبكي بكاء  
حارا لا يشقق على نفسه فيه ، فاردت أن أخفف عنه أحزانه  
بأن مصابه هو مصاب الجميع ، فأجاب هذا الشخص « لست  
أبكى على مصابى فيه فقط ، بل أبكى على مصاب هؤلاء  
المساكين الذين كنت أوزع عليهم كل شهر مرتباته ، وفي ذلك  
قلت في مرثيته :

بكينا على فرد وان بكاعنا  
على أنفس الله منقطعات  
تعهدها فضل الامام وحاطها  
باحسانه والدهر غير مواتى (٧)

فلا عجب اذن ان يعتز حافظ ابراهيم بالاستاذ الامام  
وأن يخلص له الود ويعترف له بالجميل وأن ينظر اليه  
البنظرة الملائقة به عالما واما ما ، ورائدا تقىا نقىا ويصل به  
الاعجاب الى حد الاغراق في المدح والاسراف في المبالغة على  
عادة بعض القدماء بصورة لا تليق بحافظ ولا يستسغها الامام  
نفسه كما سنعرف بعد قليل . وفي احدى رسائل حافظ. الى  
الامام من السودان يصور حافظ أنه يعاني هناك ما عاناه  
وقد حل حلول الكليم في التابوت والمغاضب في جوف الحوت،  
بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة ... لا بل حلول

---

(٧) الطناحي : السابق ١٢١ . والبيتان من قصيده  
في رثاء الامام محمد عبد الكرم في الديوان ١٤٤٢ .

الوزير (٨) في تنور العذاب ، والكافر في موقف يوم الحساب  
بين نارين : نار القيظ ونار الغيظ (٩) .

وكان حرص حافظ على الرزينة المفظية وخصوصا السجع  
والجناس وترسم خطى القدماء في هذه الرسالة هو السر فيما  
نجده فيها من تكلف وببالغات أهدرت معها الطاقة الشعورية  
وصدق المعاناه وليس في الرسالة كلها ما يصور ملهمها من ملامح  
الامام انما كلها استغاثات من حافظ تستصرخ الامام الذي يشبهه  
المعتصم الذي جيش الجيوش لإنقاذ الاسيرة المسلمة ويشبه نجمة  
القطب التي يعتمد عليها الملاح . . . الى آخر هذه الصورة  
البراقة المنفوحة التي لا تعبر عن معاناة صادقة ، ولا تعطى  
بعدا من أبعاد النفس ، والتي ابتذلت وأهترأت من كثرة  
الاستعمال على مدار التاريخ الادبي .

ودأب حافظ على مدحه وتهنئته في مناسبات مختلفة : فهو  
يهنئة في قصيدة بمنصب الافتاء (١٠) ويمدحه بقصيدة يصف  
فيها حضرته (١١) ويمدحه بقصيدة ثلاثة قالها في سفر له  
الى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحبا له في هذا  
السفر (١٢) ويهنئة في قصيدة أخرى بعودته من سياحته في

---

(٨) هو محمد بن عبد الملك الزيارات الذي سجنه المتوكل  
في تنور صنعه ابن عبد الملك لتعذيب أعدائه فعذبه المتوكل الى  
أن مات فيه سنة ٢٣٣ هـ .

(٩) ديوان حافظ ١٢٨/٢

(١٠) الديوان ٤/١

(١١) السابق ٥/١

(١٢) السابق ٢١/١

بلاد الجزائر في أكتوبر سنة ١٩٠٣ (١٣) ويقول فيه بيتين  
عند عودته من بعض أسفاره (١٤) .

وكانت آخر قصيدة قالها فيه حيا هي تلك التي قالها  
مدافعا عنه ضد من حمل عليه في الصحف بوضعه في رسومات  
هازلة «كاريكاتيرية» فيها سخرية منه .

ثم كانت آخر قصائده فيه وأشحنتها بالحزن والشجى  
هي قصيده في رثائه التي نشرت له في ٢٢ من أغسطس سنة  
١٩٥٥ وهي قصيدة طويلة بلغت اثنين وخمسين بيتا (١٥)  
وفي ١١ من يوليو سنة ١٩٢٢ ينشد في حفل أقيم في الجامعة  
المصرية قصيدة في ذكرى الامام محمد عبده من ثلاثة وأربعين  
بيتا (١٦) .

والحقيقة أن ما نظمه حافظ في الاستاذ الامام يعد من  
أصدق وأبرع ما نظمه حافظ في ممدوح لأن الدافع كان حبا  
 حقيقيا تعمق وجдан حافظ ففاض شعرا يشد المشاعر والاحاسيس  
 ومن الناحية الموضوعية استطاع حافظ أن يبرز من شخصية  
 الامام موافقها المتوجهة وجوانبها الفذة التي جعلت منه شخصية  
 من أعظم شخصيات التاريخ المصري والاسلامي .

فهو العالى الوقور الجليل المهيب الجدير بمنصب الافتاء  
والذى يتصدى لكل بدعة وضلاله وبذلك كان كسبا كبيرا لهذا

---

(١٣) الديوان ٢٣/١

(١٤) الدبوان ٢٦/١

(١٥) الديوان ١٤٤/٢

(١٦) السابق ٢٠٣/٢

المنصب وكان ظفراً أكبر للإسلام وفي ذلك يقول حافظ في أول  
قصيدة فيه :

رأيتك والابصار حولك خشع  
فقلت (أبو حفص) ببرديك ألم على  
وجردت للفتيا حسام عزيمة  
بحدية آيات الكتاب المنزل  
محوت به في الدين كل ضلاله  
وأثبتت ما أثبتت غير مضلل  
لئن ظفر الافتاء منك بفضل  
لقد ظفر الافتاء منك بأفضل (١٧)

ويشير إلى خدمته الجلى التي أسدتها للإسلام بتفسير  
المنار (١٨) .

ويتصدى في شراسة لاحدى الصحائف التى رسمته فى  
صورة ساخرة «كاريكاتيرية» ويصفها بأنها «صحف الفجار»  
ويصف عمل هؤلاء بأنه «غارة أشرار» ويخاطب الإمام ذاكرًا  
أنهم نقموا وحقدوا وأساعوا ولكنهم :

لن يحجبوك عن الورى أو يحجبوا  
فلق الصباح ومشرق الاقمار (١٩)

وكان رثاؤه في الإمام محمد عبده يتمثل في أخذ قصائده  
على الاطلاق وقد استمدت هذه القصيدة خلودها من الرائي

---

(١٧) الديوان ٥/١

(١٨) الديوان ٢٥/١

(١٩) الديوان ٢٧/١

والمرثى ، فقد كان حافظ صادقا في وفائه وفي حزنه ولوعته ، وكانت حياة الامام نموذجاً يليغاً للمصلحين المخلصين الذين ينشدون لدينهم العزة والقوة ولوطنهم المجد والعظمة (٢٠) .

وفي هذه القصيدة يعرض حافظ مواقف الامام في صبره على ايذاء حاسديه وتوفيقه بين الدين وبين الحقيقة والشريعة وبعد ذلك يجسد (يكثف) بعدين مهمين من أبعاد شخصية الامام رحمه الله وهمما : دفاعه عن الدين وخاصة في تصديه لاثنين من عتاة المستشرقين الصليبيين هما : « هانونو » و « رينان » اللذين دأبا على الطعن في الاسلام والهجوم عليه والثانى : هو بعد الروحي الذي يتمثل في خوفه من الله خشيته له وتهجمه ومناجاته اياه في جوف الليل والناس نائم ويقول حافظ :

وقفت (لهانونو) و (رينان) وقفه  
أمدك فيها الروح بالنفحات (٢١)

---

(٢٠) الجندي : حافظ ابراهيم ١٣٣

(٢١) المعروف أن محمد عبده رد على هانونو في أوائل سنة ١٩٠٠ وكان هانونو قد هاجم الاسلام وخصوصا في عقيدة الالوهية والقضاء والقدر منتصر العقبة النصرانية في هذين المجالين وقد رد عليه الامام محمد عبده بعدة مقالات جمعت في كتاب باسم « الرد على هانونو » ثم باسم « الاسلام والرد على منتقدية » ولم يعرف عنه أنه رد على رينان ، فهذه سقطة من سقطات حافظ . ومن عجب أن محقق الديوان وهو كما هم ذكرروا في الهاشم أكثر من مرة أن الامام - وكذلك على رينان (هاشم ديوان حافظ ٦٦/١ ، وهامش ١٤٥/٢ )

وخفت مقام الله في كل موقف  
 فخاكم أهل الشرك والنزغات  
 وكم لك في اغفاءة الفجر يقطنة  
 نفخت عليها لذة الهجعات  
 ووليت شطر البيت وجهك خاليا  
 تناجي الله البيت في الخلوات  
 وكم ليلة عاندت في جوفها الكري  
 ونبهت فيها صادق العزمات  
 وأرصدت للباغي على دين محمد  
 شابة يراع ماحر النفات  
 اذا مس خد الطرس فاض جبينه  
 بأسطار نور باهر اللمحات  
 كان قرار الكهرباء بشقة  
 يريك سناء أيسر اللمسات (٢٢)

وحافظ في مرحه وكذلك في رثائه للإمام محمد عبديميل  
 إلى الأصحاب والتفصيل ( تغنينا بموافقه وخصائصه . . . )  
 وكذلك يكشف أهم صفاته أحياناً في البيت ) والبيتين بالفاظ  
 رشيقه عبارات مقسمة تقسيماً موسيقياً حسناً كقوله في أحدي  
 مدائمه :

= وقد كان منطبع حافظ أنه لا يجشم نفسه عناء البحث والمراجعة  
 والتنقيب وكان هذا من عيوبه الجوهرية ( انظر أحمد أمين  
 زعماء الاصلاح في العصر الحديث ٣٢٢ والموسوعة العربية الميسرة  
 ١٦٦١ والزركلى : الاعلام ٤٩/٤ ، وزکی مبارک : حافظ  
 ابراهيم ٤٩ ، والزمر ٢٥٢/٤ ) ( ٢٢ ) الديوان ١٤٦/٢

كثير الايادى حاضرا الصفح منصف  
 كثير الاعدادى عائب الحقد مسيف  
 له كل يوم فى رضى الله موقف  
 وفي ساحة الاحسان والبر موقف (٢٣)  
 ومثل قوله فى مرثيته مخاطبا بيته فى عين شمس :  
 لقد كنت مقصود الجوانب آهلا  
 تطوف بك الامال بتسهيلات  
 مثابة أرزاق ومهبط حكمة  
 ومطلع أنوار وكنز غطات (٢٤)

والفجيعة في الامام لم تكن فجيعة امة بقدر ما هي فجيعة  
 الاسلام وأمة الاسلام في حامي حمى الدين (٢٥) وتلح هذه  
 المعانى على حافظ في قصيده التى نظمها في ذكرى الامام سنة  
 ١٩٢٢ يتذكر أن الفجيعة بمותו كانت كذلك فجيعة العلم  
 والرأى والفهم ..... الخ (٢٦)

وظل حافظ بيلى أستاذة في كل مناسبة ويعدد ما ثرها  
 وأفضاله في كل فرصة حتى لبى نداء ربها ، فكان اذا رئى أحدا  
 من بعده انقتل من رثائه الى بكاء الامام ، وذكر الفراغ الذى  
 ظل شاغرا بعده لم يستطع أحدا أن يملأه (٢٧) .

(٢٣) الديوان ٢٣/١ .

(٢٤) الديوان ١٤٩/٢ .

(٢٥) أنظر مطالع المرئية ص ١٤٤ .

(٢٦) أنظر الديوان ٢٠٥/٢ .

(٢٧) الجندي : حافظ ابراهيم ١٣٤ وأنظر رثاء حافظ  
 للشيخ على يوسف سنة ١٩١٣ حيث يذكر في تصاعيدة رد الامام  
 محمد عبد على مفتريات هانونو (دبوان حافظ ١٧٥/٢) .

والمتبع لشعر حافظ وخاصة في المراثي يلحظ أنه كان يجنب في مطلع حياته الأدبية إلى الغلو والاسراف في المبالغة (٢٨) لانه كما يذكر طه حسين كان يقلد القدماء تقليداً ويعاكيم محاكاة تذهب بشخصيته أو تكاد تذهب بها (٢٩) وفي قصائده التي مدح بها الامام تشهد المبالغة أحياناً إلى حد الاغراق الموجج في التعبير والتوصير كتلك الصورة التي شكلها في قصيده التي يهنىء فيها الامام بعودته من سياحته في بلاد الجزائر (سنة ١٩٠٣) (٣٠) وفيها يصور كيف أن :

وضياء الامام يوضح للرب  
ان سبل النجاة فوق العباب  
بات يغنيه عن مكافحة البحر  
ورقبى النجوم والاقطاب  
وسرى البرق للجزائر بالبشري  
بقرب المظهر الاول

وحتى في احسن قصائده في الرثاء وهي تائيهه في رثاء الامام لم يستطع حافظ أن يتخلص من أسر هذه المبالغات التي تنال من قدر القصيدة حتى لو كانت بداعي الحب المفرط والقلب المعهود كقوله :

- (٢٨) أنظر مثلاً قصيده في رثاء عثمان السيد أباطة بك منة ١٨٩٦ الديوان ١٣١/٢ وقصيده في رثاء سليمان أباطة باشا سنة ١٨٩٧ ١٣٣/٢ .  
(٢٩) حافظ وشوقى ١٣٣ ٠ .  
(٣٠) الديوان ٢٣/١ ٠ .

ولو ضرروا بالمسجدين لانزلوا  
بخير بقاع الارض خير رفات (٣١)

وقد يخفف من حدة هذا الغلو ان البيت صيغ بأسلوب  
شرط ، ولكن الاغراق الذى يصعب نبرره والتحقيق منه  
هو قوله :

فلا تنصبوا للناس تمثال عبده  
وان كان شكري حكمه وثبات  
فاني لاخشى أن يضلوا في يومئوا  
الى ثور هذا الوجه بالسجدات (٣٢)

وأنا على يقين أن الامام محمد عبده لو كان حيا لرفض  
مثل هذا المعنى لتعارضه مع عقيدته حتى لو حمل ذلك محل  
المجاز والخيال . وعلى الرغم من هاتين الهناتين فان هذه  
القصيدة بالذات تبين بحق «كيف غلت طبيعة حافظ صناعته  
وكيف تححدث قليه وایمانه الى قلوب المسلمين وایمانهم ،  
وكيف انتقل حزنه ووفاؤه الى نفوس الناس فعلمهم كيف يجدون  
لذع الحزن ، وكيف يستذيبون لذة الوفاء » (٣٣) .

لقد رثى حافظ ابراهيم بعض رجال الدين وشخصيات  
آخرى مثل الشيخ سليم البشري .

ولكن ظل الامام محمد عبده هو المثل الاعلى والقمة  
السامقة الشامخة في نظر حافظ وظل هو الصفوه والقائد  
والراعي والرائد الذى أحبه حافظ فاختص له الحب .. وعاشر  
وفيا له ولذكراه الى أن لقى ربه .

---

(٣١) الديوان ١٤٤/٢ .

(٣٢) الديوان ١٤٨/٢ .

(٣٣) طه حسين : حافظ وشوقى ١٣٩ .

## الخليفة العثماني

لم تكن انبلاط العربية والاسلامية تنظر الى الدولة العثمانية كدولة استعمارية مسلطة كما كانت تنظر فيما بعد الى فرنسا وانجلترا وأسبانيا بل كانت تنظر الى الخلافة التركية كضرورة يجب أن تظل وتبقى في مواجهة عالم غربى صليبي منهوم وهناك أدلة كثيرة تؤيد هذه النظرة : منها أن الجزائر قد دخلت باختيارها في الدولة العثمانية وكذلك أمراء لبنان وشريف مكة ، وأن المغاربة قد رفضوا التجنيد في جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم لأنهم لا يقاتلون الا الفرنج على حد قولهم . زيادة على الاشتراك الفعلى في حروب الدولة العلية ، فتركيا حينما كانت تضطر لمحاربة دولة مثل روسيا تنهال عليها الامداد بالمؤمن والرجال منسائر القطر الاسلامية ، وبينيت الدعاة في كل مكان يحرضون الناس على الدفاع عن الاسلام حتى تبلغ دعوتهم الهند والمصين (١) .

وقد عاش حافظ ابراهيم (٢) وقتاً تنازعـت مصر فيه عدة تيارات انعكست على الانتاج الفكرى والادبى : فتيار مصرى

(١) أنظر د. محمد زكي عشماوى : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ص ١٧٤ ، جلال كشك مجلة الرسالة ص ١١٠١ وكذلك د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص ٤ ، ودكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ٤٨١ .

(٢) يعتبر العمر الادبى لحافظ ابراهيم ما يقرب من أربعين عاماً وقد توفي حافظ ابراهيم في ٢١ من يوليو سنة ١٩٣٢ وأقدم قصيدة مسجلة في ديوانه هي قصيدة في تهنئة عبدالحليم =

وطني ، وتيار فومي عربى ، وتيار اسلامى . وكان من دعاء المصرية الخالصة : لطفى السيد الذى كان يدعو الى جامعة مصرية خالصة ، ولا يعترف بالرابطة العثمانية لأنها لون من الوان الاستعمار ، كما أنه لا يعترف بالجامعة الاسلامية لأنها من وجهة نظره - وهم لا سبيل الى تحقيقه من الناحية العملية ، وقد كانت الجريدة لسان حال حزب الامة تحمل لواء هذه الدعوة (٢) .

ولكن أقوى هذه التيارات كان التيار الاسلامي اذ كانت الترثعة الاسلامية غالبة على القضية الجنسية والرابطة القومية في مصر الى أوائل القرن العشرين ولذلك لم يكن المصريون يجدون غضاضة في الاعتراف بسلطة الخليفة التركي ، وحين ثار عربي على أساليب الحكم في مصر وعلى تغلغل التفود الاجنبى لم يخطر بباله أن يخلع طاعة الخليفة ، أو يخرج عليه فهو يعرض خطواته مستمدًا منه السلطة في كل ما يفعل.

ويضع مستر بلانت في مقدمة برنامج الحزب الوطني الاعتراف بسلطة الباب العالى ، وبأن جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله في أرضه وأمام المسلمين .

---

العاصم باشا باسنداد امارة الحج اليه سنة ١٣١٣ أو سنة ١٨٩٥ م ( انظر الديوان ٣/١ ) أما آخر ما نشر له فهو قصائد الاخلاق والحياد - ثمن الحياد - الى الانجليز . وكلها نشرت في أبريل سنة ١٩٣٢ انظر الديوان ١٠٧/٢ - ١٠٩ .

(٢) انظر د. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . المقدمة ص ١٠ وأنظر الكتاب نفسه ٨٦/١ .

وهذه هي المنشورات التي كان يصدرها الخديوى توفيق تستعين على تغيير الناس من عربى بتصويره خارجا على الخلافة عاصيا أوامر أمير المؤمنين . (٤) وزعماء الوطنية المصرية الذين لاشك في اخلاصهم الوطنى والذين ظلوا يكافحون في سبيل تخلیص الوطن من الانجليز كانوا يرون أن الایمان بالجامعة الاسلامية والخلافة العثمانية هو الاساس والمنطلق ، فقد كانت الوطنية في ذلك الوقت مختلطة بالدين ليس بينهما ذلك الفرق المفهوم اليوم فقد كان من الصعب فصلها عنه (٥) .

والزعيم المصرى الشاب يرى في السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ - ١٩١٨) « أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان ووجه عنایته لابطال مساعى الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم » (٦) . ويبلغو مصطفى كامل فيرى أن بقاء الدولة العلية ضروري للتنوع البشري وأن في بقاء سلطانها سلامه أمم الغرب وأمم الشرق (٧) .

وكان محمد فريد خليفة مصطفى كامل متفقا معه في أن مصلحة مصر في ذلك الوقت تدعى الى مؤازرتها لتركيا لأن ذلك هو السبيل الأمثل الى مناهضة المستعمرین (٨) .

لقد ساد الایمان بأن الجامعة الاسلامية هي طريق القوة ، وبأن الولاء للخلافة - الذي يعتبر الخليفة التركى رمزا لها

(٤) السابق ١/١

(٥) انظر عمر الدسوقي : في الادب الحديث ٣٠/١

(٦) محمد حسين ٧/١ ش

(٧) السابق ٢ - ٨

(٨) السابق ١٠

ولاء ضروري تفرضه فكرة الایمان بضرورة قيام جامعة اسلامية  
تتكلل لتواجه خطر الاستعمار (٩) .

وقد كانت فكرة الجامعة الاسلامية التي ترى في رابطة  
الدين أقوى الروابط ، وفي الخليفة العثماني خامي حمى  
الاسلام والأمة الاسلامية ، وترى في الحروب التي أثارتها الدول  
الاوربية وخاصة روسيا امتداداً للحروب الصليبية السابقة .

كانت هذه الفكرة هي المسيطرة على الشعر والشعراء ، فليس  
بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلافهم وتبان نزعاتهم  
من يخلو ديوانه من شعر مدح الخليفة التركي والاشادة بفضله  
على المسلمين وحرصه على اعلاء كلمة الدين ، وليس بينهم  
من تخلف عن المشاركة بشعره في حروب تركيا وأحداثها الجسمان  
مثل : حرب اليونان وحرب طرابلس وحرب البلقان والدستور  
العثماني وسقوط عبد الحميد (١٠) .

وعلى الساحة المصرية ارتفعت أصوات عشرات من الشعراء  
المصريين يدعون الى فكرة الجامعة الاسلامية ويمجدون الخليفة  
التركي ويدافعون عن الخلافة العثمانية من أمثال أحمد محـرم  
ومحمد عبد المطلب وأحمد الكاشف وغيرهم (١١) وكان من أعلى  
الأصوات وأقواها في هذه الاتفاق صوت أحمد شوقي فله مطولة  
بلغت مائتين وستين بيتاً في وصف الواقع العثماني اليونانية وهي  
البائية التي مطلعها .

---

(٩) د. احمد هيكل : تطور الاتب الحديث في مصر ٩٩

(١٠) محمد حسين ١١/١ - ١٢ - ٠

(١١) انظر د. احمد هيكل . السابق من ص ١١١ الى

ص ١١٧ .

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب  
وينصر دين الله ايام تضرب (١٢)

وفيها يتحدث عن أبوة أمير المؤمنين للمسلمين وعن جلوسه  
الأسعد ، ويصف بطولة الأتراك فهم :

ثمانون ألفاً أسد غاب ضراغم  
لها مخلب فيهم وللموت مخلب  
اذا حلمت فالشر وسنان حالم  
وان غضبت فالشر يقظان مقبض  
فيالق افتش في البلاد من الضحي  
وابعد من شمس النهار وأقرب (١٣)

وللمرأة التركية دور كبير في المعركة فهى تحمل اللواء ،  
وتخصوص سعير الحرب لأنها ورثت البطولة كابرًا عن كابر (١٤)  
وفي القصيدة نرى شوقى يخاطب السلطان عبد الحميد قائلاً :

حسامك من سقراط في الخطب أخطب  
وعودك من عود المنابر أصلب  
وعزمه من هومير أمضى بديهة  
وأحلبي بياناً في القلوب وأعذب (١٥)

وحينما ينجو عبد الحميد من محاولة لقتله بقذيفة في  
سبتمبر سنة ١٩٠٥ يبادر شوقى فيهنته بهذه النجاة التى تعد

---

(١٢) الشوقيات ٤٢١ - ٠

(١٣) السابق ٤٤

(١٤) انظر الابيات ٤٨ - ٠

(١٥) السابق ٤٣ - ٤٤

فجأة للدين والامة والناس جميعا(١٦) . وحتى في مجال وصف المشاهد الطبيعية بتركيا لا ينسى شوقي أن يطعم قصيدة بمدح أمير المؤمنين كما نرى في قصيده الرائية المشهورة التي مطلعها :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى  
حتى أريك بديع صنع البارى

وفيها يصف مشاهد الطبيعة في طريقه الى الاستانة قدما من أوروبا ، فيتحدث عن الحدائق والغدوان ويصف الأرض والسماء والوديان والجبال ، ويخلص من كل أولئك الى مخاطبة الخليفة بأنه « واحد الاسلام غير مدافع » ويختتم قصيده بما لا علاقه له بوصف الطبيعة مخاطبا الخليفة قائلا :

هذا مقام أنت فيه محمد  
أعداء ذاتك فرقة في النار  
ان الهلال وأنت وحدك كهفه  
بين العاقول منك والأسوار  
لم يبق غيرك من يقول أصونه  
صنه بحول الواحد القهار(١٧)

وحيثما يلغى آتا تورك الخلافة الاسلامية وينفي الخليفة من بلاد الاتراك ينظم شوقي قصيدة يرثى فيها الخلافة ، ويطلب من المسلمين اصداء النصح لاتاتورك لعله يبني ما هدم ، وينصف من ظلم ، وفي القصيدة يصور صدى انغام الخلافة في البلاد الاسلامية :

---

(١٦) انظر الايات ٩٢/١

(١٧) الشوقيات ٤٠/٢

## الهند والهنة مصر حزينة

تبكي عليك بمدمع سماح  
والشام نسأل والعراق وفارس  
اما من الأرض الخلافة ماح (١٨)

لقد كان شوقى محباً للأتراك مخلصاً لهم « ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر ما تهزه سواه . فالترك - فوق أنهم كانوا مقر الخلافة ، وقبيلة المسلمين الزمنية ، وأصحاب السيادة على مصر . يجرى دمهم في عروق الشاعر الكبير ، ومنهم أصحاب عرش مصر - يومئذ - الذين ببابهم ولد شوقى ، وفي حمامهم شب ونشأ (١٩) .

ولكن ينبغي الا ننسى « الخديوى عباس » ... فهو الذى كان يدفع شوقى يميناً وشمالاً وكان عباس مخلصاً لتركيا وكان يزورها في الصيف فكان شوقى يخلص لها أيضاً وكان يزورها معه ، وتنتمى عينه بمجالى البسفور وغيره مثل جكسو وهو موضع فاتن في ضواحي الاستانة (٢٠) .

وهناك سبب آخر شخصى يرجع إلى طبيعة العلاقة بين شوقى وعبد الحميد . فقد كان شوقى على صلة بال الخليفة التركى ، وكان الخليفة يتزله منه منزلة طيبة (٢١) بل كان يقرأ شعره

(١٨) الشوقيات ١٠٦/١ .

(١٩) د. هيكل : مقدمة الشوقيات ١٤/١ وأنظر د. ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ١٢٥ .

(٢٠) ضيف : السابق ٢٤ .

(٢١) د. ماهر حسين فهمي : شوقى شعرة الاسلامي ٦٥ .

ويستمع اليه (٢٢) فلما أقيل عبد الحميد وأتى خلفه محمد رشاد  
عقد شوقي الصلة بينه وبين الخليفة الجديد كما كان يعقدها بينه  
وبين عبد الحميد (٢٣) .

فكان شوقي اذا شعر في الترك وحربهم والخلافة وشئونها  
شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويغتر بعزهم ،  
ويراعي العلاقة القوية بين عابدين ويلدرز ، وبين الخديوى  
والخليفة (٢٤) .

وقد بلغ من حب شوقي للترك أن كان يعتبرهم مجموعة  
فضائل لا تشوبها نقيصة (٢٥) .

● ● ●

كان هذا في اجمال موقف الشعرا .. . وكان هذا بقليل من  
التفصيل موقف شوقي من الخلافة العثمانية والخليفة العثمانى  
وهو في مجمله موقف التعاطف والحب والأخلاص والولاء  
والوفاء (٢٦) فماذا كان موقف حافظ ابراهيم .

---

(٢٢) انظر الشوقيات ١١٠/٢ فقد صدرت قصيدة شوقي  
( جسر البسفور ) بالعبارة الآتية : هذه القصيدة اهتم بها  
المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام .

(٢٣) د . شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث  
وأنظر مطولته في محمد رشاد : عيد الدهر وليلة القدر  
الشوقيات ١٦٩/١

(٢٤) أحمد أمين مقدمة ديوان حافظ ص ٦

(٢٥) د . هيكل : مقدمة الشوقيات ١٥/١

(٢٦) هذا باستثناء قلة نادرة من الشعراء كان اظهارهم  
ولي الدين يكن .

لم يكن بدعاً أن ثرى الشاعر حافظه ابراهيم يصبح بشعره في نفس الفلك ، ويساير به الجو الأدبى العام الذى كان يسيطر على بلاد الشرق فتعدد قصائده العثمانية كقصيدته فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيده جلوسه (٢٢) . وقصيدته فى عيد تأسيس الدولة العليا (٢٨) وقصيدته الانقلاب العثمانى (٢٩) وقصيدته عيد الدستور العثمانى (٣٠) وقصيدته تحية الأسطول العثمانى (٣١) وحرب طرابلس (٣٢) واستقبال الطيار العثمانى فتحى بك (٣٣) وقصيدته فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى وصادق (٣٤) .

ويكاد يلتقي مع شوقى ومحرم والكافى وعبد المطلب وغيرهم في نظرة التقدير بل التقدير بل للخلافة العثمانية وتعظيم السلطان التركى وتمجيد بطولة الجيوش العثمانية والنعى على مخالفى السلطان والازراء بمعارضيه . . . وهى معان تكاد ترتفع إلى القيم الدينية والأخلاقية التى يؤمن بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

فالدولة العثمانية هي « دولة الله في الأرض » ، وسلطانها همة لهم رسالة مقدسة هي الدفاع عن الإسلام وحمايته ومد سلطانه في كل الأفاق . يقول حافظ :

• (٢٧) ديوان حافظ ١٥/١ ، ٤٤ .

• (٢٨) الديوان ١٧/٢ .

• (٢٩) السابق ٤٣ .

• (٣٠) السابق ٤٨ .

• (٣١) السابق ٦٢ .

• (٣٢) السابق ٦٦ .

• (٣٣) السابق ٧٦ .

• (٣٤) السابق ١٧٩ .

لقد مكن الرحمن في الأرض دولة  
 لعثمان لا تغفو ولا تتشعب  
 بناتها فظننتها الدرارى منازلا  
 ليذر الدجى تبني ولسعد تنصب  
 وقام رجال بالامامة بعده  
 فزادوا على ذاك البناء وطنبوا  
 وردوا على الاسلام عهد شبابه  
 ومدوا له جاها يرجى ويرهب (٣٥)  
 والجيش التركى هو أعظم جيوش الدنيا واقواها واقدرها  
 على احراز النصر وكسر الاعداء وجنوده :  
 يمشون في حلق الحديد الى العدا  
 وكأنهم سد من الانسان  
 وكان مفدهم اذا لمع الضحى  
 سيل من المذى والمران  
 ليتوافقون على الردى وصفوفهم  
 رغم الوثوب كثابت البناء (٣٦)  
 والاسطول التركى دليل على سعة سلطان آل عثمان الذين :  
 ملكوا البر فلما لم يسع  
 مجدهم نالوا من البحر المrama (٣٧)

- (٣٥) ديوان حافظ ١٧٢
- (٣٦) ديوان حافظ ٤٤١
- (٣٧) السابق ٦٣٢ و واضح انه متاثر بقول عمرو بن كلثوم :
- ملانا البر حتى صاق عنا  
 وباء البحر تملأه سافينا  
 ) انظر شرح المعلقات السابع للزورى (ص ١٣٥)

وهذا الاسطول ( ترمى دونه قوة وراء وأماما ) لأنه رسالته الاولى ترتبط بالدين والوطن فهو :

يكل الشرق ويرعى بقعة

رفع الله بها البيت الحراما

وتفجر هى أبهى منظرا

من ثغور الغيد يبدين ابتساما

خصها الله بأفق شرق

ضم في الآلاء مصر والشاما (٣٨)

والخروج على الدولة وال الخليفة يعد خروجا على الاسلام  
وعصيانا لأمر الله (٣٩) .

● ● ●

ويهمنا أكثر من كل أولئك أن ننظر موقف حافظ من  
السلطان عبد الحميد الذى حكم أكثر من ثلاثين عاما ، وعاش  
حافظ سنوات انتصاراته وسنوات انكساراته الى أن عزل  
سنة ١٩٠٩ .

---

(٣٨) الديوان ٦٣/٢

(٣٩) يخاطب حافظ السلطان عبد الحميد مشيرا الى  
حزب تركيا الفتاة :

فدى لك يا عبد الحميد عصابة

عصت أمر باريها وحزب مذبذب

(الديوان ١٧١) وأنظر أبياته في ذم والى العجاز  
وشريف مكة الذين خرجا على الخلافة وسلطان الدولة  
التركية ٤٩/١

لم يكن لحافظ من الخليفة التركي موقف واحد ثابت  
ذا طبيعة واحدة تصدر عن الحب والوفاء على طول الخط  
كشوقى ، أو يحكمه الكراهة والبغضاء والنفور والعداء على  
طول الخط كولى الدين يكن ، ولكن طبيعة موقف حافظ  
أو بتعبير أدق مواقفه ارتبطت بوضع السلطان عبد الحميد قوة  
وضعفا على ما سنعرف بشيء من التفصيل ٠٠٠ وتتلخص هذه  
المواقف في ثلاثة :

- (١) التعظيم والاجلال والتوقير .
- (ب) النقد الخفى والهجاء غير المباشر .
- (ج) السخرية والشماتة والهجاء المر .

وموقف الاول لا يختلف كما قلنا عما كان سائدا في الساحة  
الأدبية آنذاك من تعظيم الخليفة حامي حمى الأمة والحق  
والاسلام ، وقد ظهرت هذه النبرة واضحة بصفة خاصة في  
قصيدتي الجزء الأول بتهنئة السلطان بعيد جلوسه (٤٠) وعيد  
تأسيس الدولة العلية (٤١) .

فهو يغلو ويسرف ويخلع على عبد الحميد من الصفات  
ما يجعل منه ظل الله على الأرض . يقول حافظ :

تجلى على عرش الجلال وتأجهه  
يهش وأعواد السيرير ترحب  
سما فوقه والشرق خذلان شيق  
لطلعته والغرب خذلان يرقب

(٤٠) ج ١ ص ١٥ ، ٤٤

(٤١) ج ٢ ص ١٧ .

فقام بأمر الله حتى ترعرعت  
 به دوحة الاسلام والشرك مجدب  
 وقرب بين المسلمين تقربا  
 الى الملك الاعلى فنعم المقرب  
 وكم حاولوا في الارض اطفاء نوره  
 واطفاء نور الشمس من ذاك اقرب (٤٢)

● ● ●

فلما خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ على أيدي الكماليين  
 وتولى بعده محمد رشاد أو السلطان محمد الخامس . ينشئ  
 حافظ ابراهيم قصيدة من واحد وخمسين بيتا كانت مزيجة من  
 الاشواق والشماتة ، من التوقير والازراء ، من التفريط والنقد ..  
 ولكننا نحس ان حافظ أميل الى جانب النقد والازراء والشماتة  
 حتى لو ادعى انه « بات يبكي عليه » وأن عبد الحميد خالد  
 « رغم أنف الليالي » شأن « كبار الرجال أهل الخلوة » وأن  
 شخره عند الله باق « ان ضاع ذخره عند العبيد » بل اتنا لنس  
 بخبرة الهجاء ابتداء من البيت الثاني من القصيدة حتى يصف  
 عبد الحميد بأنه :

مشبع الحوت من لحوم البرايا  
 ومجيء الجنود تحت البنود (٤٣)

(٤٢) الديوان ١٦/١  
 (٤٣) الديوان ٤٣/٢ يشير حافظ بذلك الى ما ردده  
 بعضهم من أن عبد الحميد كان يلقى بأعدائه في البوسفور والى  
 ما كان يفاصيه الجيش التركي من شظف العيش . وانظر قصيدة  
 شوفى في محمد رشاد بعنوان ( عيد المهر وليلة القدر ) ١٦٩/١

وهو يحذر رجال الانقلاب أن يسلكوا مسلك السلطان  
بعد الحميد فيخاطبهم قائلاً :

بَتْ أَخْشِي عَلَيْكُمْ أَنْ يَقُولُوا  
أَنْ أَثْرَتْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحَقِّ وَ  
كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدَ بِالْأَمْسِ فَرِداً  
فَغَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ (عَبْدُ الْحَمِيد) (٤٤)

ويستحضر حافظ صورة نابليون أو أسيير ( سنت هيلين ) ،  
ويطلب منه أن يسأل عبد الحميد أو أسيير ( سالونيك ) كيف  
لم تستطع عدته وجنوده أن تحميه وتغديه :

قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ ؟ كَيْفَ امْتَلَكْتَ الْ  
أَرْضَ ؟ كَيْفَ انْفَرَدْتَ بِالْتَّمْجِيدِ  
فَهَلَّتِ الْعَرْوَشُ عَرْشًا فَعَرْشًا  
صَبَغَتِ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ (٤٥)

ولا يكتفى حافظ بهذا بل تعلو نبرة تهكمه بعد الحميد  
فيرى أنه أسعد حالاً من نابليون وأسعد حالاً من « بايزيد » الذي  
اسره تيمور لنك ، وسجنه في قفص إلى أن مات ، وأن الأسر  
يعد انقاذاً له من عقدة الخوف والشك والرعب التي لازمه وهو  
في قصره يتوهם أن أعداء يتربصون له ، ويطلبونه ، ويضيقون  
عليه الخناق . فيقول :

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدَ فِي الْقَصْرِ أَشْقَى  
مِنْهُ فِي الْأَسْرِ وَالْسَّلَامِ الشَّدِيدِ

(٤٤) السابق ٤٤

(٤٥) السابق ٤٥/١

كان لا يعرف القرار بليل  
لا ولا يستاذ طعم الهجود  
حذرا يرعب الظالم ويخشى  
خطرة الريح أو بكاء الونيد (٤٦)

ويمضي حافظ في بقية قصيده معرضا بعد الحميد مشيرا  
إلى ما نقل عنه من أنه بكى عند عزله وأن هذا لا يليق بالملوك  
 أصحاب المجد والسؤدد والعز .. الخ .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد جعلنا ما قاله حافظ من قبيل  
النقد غير المباشر والهجاء غير الصريح لانه استعان بأسلوب الحذر  
والاحتراض في كل ما خلع على عبد الحميد من الفاظ زرية .  
 فهو حينما يتحدث عن أثر عزل عبد الحميد في الرعية قائلا :

فرح المسلمين قبل النصارى  
فيك قبل الدروز قبل اليهود

يتبع ذلك بقوله :  
شمتوا كلهم ولير من الهم  
لة أن يشمت الورى في طريد (٤٧)

وهو - حتى يملك خط الرجعة دائما لا يقطع ولا يجزم ،  
بل ينسحب ما روى عن نقاده عبد الحميد وأخطائه إلى مجاهيل  
من الرواية ويستخدم أسلوب الاستفهام ، فقد كانت قلوب المسلمين  
ما زالت تخفق مع عبد الحميد . يقول حافظ :

(٤٦) السابق نفس الصفحة .

(٤٧) السابق ٤٣/١ .

أصحيح ما قيل عنك وحق  
 ما سمعنا من الرواية الشهود  
 أن عبد الحميد قد هدم الشر  
 ع وأرسى على فعال الوليد (٤٨)  
 أصحيح بكير لما أتى الوف  
 د ونابتكم رعشة الرعدديد (٤٩)



ولم تمض الا أيام قلائل حتى يخلع حافظ عنه ثوب  
 الاحتراس ويهتك قناع الحذر فينطلق الى طرف النقيض مسرفا في  
 هجاء عبد الحميد اسراها اشد واعتنى من اسرافه في مدحه  
 والتهليل في ثنائه عليه . فيقول مظهرا له شماتته في عبد الحميد  
 وهو يتتحدث عن جوانب قصره المشهور « يلدز » .

أبىح حماها وانطوى مجد ريها  
 وقامت على البيت الحميدي نوابيه  
 ولن يغرن عن عبد الحميد دهاؤه  
 ولا عصمت عبد الحميد تجاربه  
 ولم يحمه حصن ولم ترم دونه  
 دنانيره والامر بالأمر حاز به  
 ولم يخفه عن أعين الحق مخدع  
 ولا نفق في الأرض جم معشار به

(٤٨) هو الوليد بن زيد بن عبد الملك المشهور بفجوره  
 وفسقه .  
 (٤٩) المسبق ٤٦ .

وأخرجه من يلدر رب يلدر  
 وجرده من سيف عثمان واهبه  
 وأصبح في منفاه والجيش دونه  
 يغالب ذكرى ملكه وتغالبه  
 ينادي صوت الحق ذق ما أذقتهم  
 فكل أمرىء رهن بما هو كاسبه (٥٠)  
 ويكتف حافظ حكمه النهائي على عهد عبد الحميد في بيت  
 واحد فيقول :

مضى عهد الاستبداد واندك صرحة  
 وولت أفاعيه وماتت عقاريه

● ● ●

وقد يدافع عن حافظ بأن طبيعة الموضوع وهو ( عيد  
 الدستور العثماني ) (٥١) تقتضي الحديث عن عهد ما قبل  
 الدستور أي عهد عبد الحميد ، وإذا صح هذا المقتضى فهو معذوم  
 في قصيدة نشرها بعد ذلك بأشهر يحيى فيها العام الهجري عام  
 ١٣٢٨ هـ ( يناير ١٩١٠ ) (٥٢) ويصر على ابراز شماتته في  
 عبد الحميد فيقول :

وأدال من عبد الحميد لشغله  
 فهو وحاؤل أن يعود فأخفقا  
 أمسى يبالي حارسا من جنده  
 ولقد يكون وما يبالي الفيaca

(٥٠) الديوان ٥٢/٢

(٥١) أنسد حافظ هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم في  
 حدائق الأزتكية في مساء الجمعة ٢٣ من يوليه سنة ١٩٠٩ .  
 (٥٢) الديوان ٥٨/٢

اما الاتحاديون من امثال شوكت ونيازى وانور الذين  
خلعوا عبد الحميد فهم « رجال من اليمان ملائى نفوسهم »  
واحدهم وهو شوكت يشبه - في نظر حافظ عمر بن الخطاب ..  
وقد قاموا بالانقلاب حرضا على احقاق الحق والقضاء على الظلم  
والاستبداد يقول حافظ :

اذا شوكت الفاروق قام مناديا  
الى الحق لباء نيازى وصاحبه  
ثلاثة آساد يجانبها الردى  
وان هى لقاها الردى لا تجانبه  
يصارعها صرف المنون فتلتقى  
مخالبها فيه وتتبوا مخالبها  
روت قول بشار فثارت واقتسمت  
وقادت الى عبد الحميد محاسبة  
اذا الملك الجبار صرخ خده  
مشينا اليه بالسيوف فعاتبه (٥٣)

● ● ●

ولنرجع البصر عودا على بدء استخلاص او تلخيصا لموقف  
حافظ من العثمانية ومتعلقاتها من أنصار او أعداء .  
وخلصة كل أولئك يتمثل فيما ياتى :

١ - ليس في شعر حافظ ما ينكر أصل مسألة الخلافة بل  
هو يدعو لها ويثنى عليها ، ولم ينقض عراها بكلماته حتى وهو  
يهجو عبد الحميد بعد خلعه . فهي دولة ( مكن لها الرحمن )  
وحلقاوها ( أئمه هدى وحمة اسلام ) .

( ٥٣ ) الديوان ٤٩/٢

٢ - مدح حافظ السلطان عبد الحميد وغلا في مدحه  
وتعظيمه في شعره فلما خلع ذمه وأظهر تسامته فيه وسخرية به .

٣ - في خلافة عبد الحميد يهنته حافظ بعيد جلوسه ( سنة ١٩٠١ ) ويصف معارضيه وخصوصاً أعضاء حزب تركيا الفتاة بأنهم ( عصابة عصت أمر باريها وحزب مذنب ) (٥٤) .

وبعد خلع عبد الحميد أصبحت هذه العصابة في نظر حافظ رجال حق وايمان ووطنية حتى شبه بعضهم بالفاروق عمر (٥٥) .

٤ - ثم أصبح يكيل بعد ذلك الاماديح للخليفة محمد رشاد بالكلام التقليدي المزوج على طريقته التقليدية مع عبد الحميد في أول الامر كقوله :

نهنىء أمير المؤمنين محمدنا

خلافته فالعرش سعد كواكبه

ستملك أمواج البحار سفينته

كما ملكت شم الجبال كنائبه

مالكه محروسة وثغوره

ركابه من صورة ومرابكه

٥ - فلما الغيت الخلافة نهائياً سنة ١٩٢٤ لم تقض قريحة حافظ بكلمة واحدة يبدي فيها معارضة أو تأييداً أو توقفاً عن الرفض أو التأييد شأنه في كثير من القضايا الاجتماعية التي عرض لها .

فماذا تفسر كل هذا الفيض من التناقضات التي حفل بها  
شعر حافظ في موقفه من العثمانية ؟

(٥٤) انظر الديوان ١٧/١

(٥٥) انظر الديوان ٥٣/٢

ولللاجابة على هذا السؤال نجد لزاما علينا أن نقرر حقيقة  
يستطيع كل من يقرأ شعر حافظ العثماني وخصوصا ذلك الذي  
يتعلق مباشرة بالخلافة وال الخليفة انه شعر في أغله بارد لا يهز  
وترا من فلب ولا خالجة من احساس ، ومعانيه كلها تقليدية  
مطروقة تعتمد على البهرجة والتهويل ، لأنه كلام لم يصدر عن  
حب حقيقي وولاء عميق . . . انه مجرد مسيرة للجو العام من  
ناحية ، وللجو الأدبى من ناحية أخرى . فهذا الولاء الذى أظهره  
حافظ للخلافة مشيدا بالسلطان العثمانى وبأفضل العثمانيين كان  
من أهم مصادره ذلك الشعور العام الذى أوجده التزاع بين السلطة  
المحتلة والمصريين فلكى يدفع القوم عنهم قوة الاحتلال أو يخففوا  
من أثره النفسي عليهم أخذوا يوحون الى أنفسهم أنهم جزء من  
الدولة العليا ، وأنهم رعايا مولانا السلطان وليس لأحد بهذا  
الوضع أية سيادة أو نفوذ عليهم فلم يكن من حسن السياسة  
أو أصلحة التدبير أن يقاوم المصريون النفوذ العثمانى الى استقلال  
بلادهم عن الخلافة ، وهو يرون تحت أبصارهم مركز الاحتلال  
البريطانى في بلادهم (٥٦) ولا كذلك ما نظمه شوقى في الخلافة  
وال الخليفة التركى . . . لقد كان سمفونية وفاء ظلت تتردد نغماته  
على مستوى فنى واحد في سراء الخلافة وضرائتها . . . في منشطها  
ومذكرها على سواء .

فلمَ الغى مصطفى كمال الخلافة سنة ١٩٢٤ قابل شوفى  
هذا القرار بالوعيل المزير وهو الذى كان يجمع الدول الاسلامية  
في حالة واحدة مركزها دولة الخلافة التى دافع عنها ، وكان أول

ذائد عن حوضها . أما بعد الغائتها فيصرخ بمرارة حين يرى العقد بنفرط ويتخيل الدولة الاسلامية كلها في مناھه (٥٧) .

ولا كذلك ما نظمه حافظ في ذم الخليفة العثماني والتهكم عليه والسخرية منه . هو شعر تحس فيه صدق التشفي . . . وعتو النقمة كأنه كان بينه وبين عبد الحميد تفور وثور . . . وأعتقد أن تعليل ذلك يمكن في تحليل مجموعة من العلائق وتحديدها وأهمها : العلاقة بين حافظ وشوقى فالبون كان ناسعا بين الشاعرين : بؤس هنا وعنى هناك . . . اخفاق على طول الخط هنا وتوفيق على طول الخط هناك حافظ «ابن البلد» يعاشر الناس وجدهم من العامة والسوقة . . . شوقى ان لم يكن أميرا فهو كالامير . . . يعيش عيشة الامراء ، ولا عجب فقد ولد بباب اسماعيل . . . وكان شوقى على صلة مباشرة بالسلطان عبد الحميد الذى كان يعتز به وينزله منه منزلة طيبة كما الم하 من قبل . ولم يكن لحافظ مثل هذه الحظوة وربما قضى لحافظ ولم يسمع به السلطان عبد الحميد . ولقد حاول حافظ أن يتقرب من خليفة المسلمين ويلتفى به في الاستانة فحيل بينه وبين ذلك (٥٨) . فلم ينزل منالا من جانب الخلافة فضاع شعره فيها كما ضاع من قبل في الامارة . وقيل في بعض الانباء أن اليد التي أبعدته عن ذلك لم تدعه ينعم بأمله الجديد فسدت عليه

(٥٧) ماهر حسن فهمى : شوقى شعره الاسلامى ٦٣ وأنظر الشوقيات ١٠٥/١ وأنظر كذلك د. احمد هيكل : دراسات أدبية ص ١٥٣ .

(٥٨) عبد الحميد الجندي : حافظ ابراهيم ص ٧٧

السبيل بعد أن عمل بعض الاصدقاء والانصار لتمهيده وبعد أن اوشك الشاعر العاشر الجد أن يظفر بحاجته ويقع على أمنيته (٥٩)

ويقدر ما كان شوقى يشعر بهذه المكانة كان حافظ يشعر ولا شك بنوع من الضياع المادى والادبى . وربما كانت مدائحة المصطنعة للسلطان عبد الحميد محاولات « للبحث عن مكان » وربما كانت مسيرة الجو العام ، ثم واته الفرصة ليكون صادقا مع نفسه ويستوفى ثأره من الخليفة العثمانى الذى لم ينزله من نفسه مكانة طيبة كما فعل مع شوقى . بل ليأخذ ثأره الادبى من شوقى الذى احتل مكانه . ربما اعتقاد حافظ أنه أجدر بشوقى عنها ، أو على الأقل حقيق بمشاركته فيها . . . ومن ثم جاءت شماتته . . . قاسية قاصمة ولكنها صادقة . . . بل هي من أصدق ما نظم حافظ في حياته لأنها ترجمان « حاسيس مكبوبة من مدى طوبل أبانت عن نفسها حين وجدت الوقت مناسبا .

ويرى الدكتور الجندي في كتابه عن حافظ أن هذه المواقف المتناقضة التي كان يضطرب فيها حافظ ترجع إلى أمرين :

الاول : أنه كان رجلا تغلب عليه طبيعة الخطيب الشعبي وللهذا كان يميل إلى مجازاة التيارات القوية التي تسيطر على الجماهير ، فهو دائماً أبداً يساير النزاعات الشعبية التي تتناقض ولا تستقر على حال .

والثانى : أنه كان رجلا مذعور القلب يرى السلامة في

---

(٥٩) أحمد محرم حافظ ابراهيم في الميزان ص ١٢٦٩ من مجلة أبوابو يوليو ١٩٣٣ وهذه الدراسة من ص ١٢٦٥ إلى ص ١٢٩٧ .

مملة ذوى السلطان حتى اذا دالت دولتهم انقلب عليهم وشيعهم  
بالدم والشماتة واستقبل خلفاءهم بال مدح والاطراء (٦٠) .

ولا شك أن شعور حافظ ابراهيم بالشماتة بالغاء الخلافة  
العثمانية لم يكن يقل عن شعوره بالسعادة والشماتة لعزل  
عبد الحميد ، ولكنه لم يفصح عن شعوره هذا بقصيدة أو كلمة  
ولو فعل ذلك لفجع الناس فيه ولتصدم مشاعر عامة المسلمين وعامة  
الشعب المصرى الذين لما علموا بنبا الغاء الخلافة « هالهم  
الخطب وغلبهم الجزء وأمضتهم خيبة الرجاء » (٦١) .

● ● ●

كان هذا هو حديث حافظ عن الشخصيات الدينية ابتداء  
من أنبياء الله ورسله ، وانتهاء بشخصيات عاصرها حافظ ، وقد  
القينا الضوء على مواقفه من هذه الشخصيات ، ومنهجه في ابراز  
لامحها مع موازنة مواقف تلك بموافقتها شوقي بقدر ما تسمح  
به الحال .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشخصيات التي  
تناولها حافظ بالتجلة والتعظيم في شعره وكان ذلك في أبيات  
مفرودة . ولكن لم يكتف بذلك بل نظم مطولة المشهورة التي  
كان لها دوى هائل وأثر عظيم في بعض الشعراء ، لذلك أثروا  
أن تستقل بفصل كامل ، هو الفصل الثاني .

---

(٦٠) الجندي : حافظ ابراهيم ١٧٣ .

(٦١) عشـر، الجندي ناصـف : الدين والاخـلاق في شـعر  
شوـقـي ٢١٢ .

الفصل الثاني

عَمَّا يَرَى الْخَطَاوَاتِ الْمُطَوْلَةِ الْعَمِيرَةِ

## \* المطولة العمريَّة \*

هي أطول قصيدة نظمها شوقى في حياته . . . وهي من أطول القصائد في الشعر الحديث كله وقد بلغت مائة وسبعة وثمانين بيتاً على وزن واحد وفافيه واحدة . وقد أنشدتها في حفل أقيم خصيصاً لسماعها بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز مساء الجمعة ٨ من فبراير ١٩١٨ ، وكان حافظ يعطي نظم هذه القصيدة اهتماماً خاصاً ويحاول أن يهيء لنفسه الجو الذي يمكنه من نظمها واستيفائها ، وقد استغرق نظمه لها بضعة أشهر أو قرابة عام (١) . وقد استقبلها الناس استقبالاً طيباً ووعدهم الشاعر أن يقدم لهم قصائد من طرازها وإن لم يبر الشاعر بوعده الذي قطعه على نفسه (٢) . وتلقتها الجماهير منشورة في الصحف . . . وتأثر بها الشعراء فنظموا على طريقتها

\* الديوان ٧٧/١ .

(١) كتب خليل مردم نقلاب عن فؤاد الخطيب : « . . . كان حافظ سنة ١٩١٧ قد أخذ في نظم هذه القصيدة ولم يفرغ منها بعد ، وكنا إذا اجتمعنا إذ ذاك نركب عربة ويقول حافظ للمسائق : اذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الصبيح ، وبidea حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها إلى المكان الذي انتهى عليه - وكان من أحسن خلق الله انشاداً للشعر - فإذا أسرع المسائق فالله حافظ « يا أسطة واحدة واحدة » يعني خفف السرعة »

(٢) من مقال حافظ ابراهيم على مجيئه للأستاذ خليل مردم . مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) ج ٤ م ٣١

(٢) انظر د. كامل جمعة : حافظ ابراهيم ما له وما عليه

. ٣٠٨

عبد الحليم المصري الشاعر قصيدة في أبي بكر الصديق ونظم الشيخ عبد المطلب قصيدة في على بن أبي طالب ونظم غيرهما في هذا الصدد قصائد أخرى في أبطال قدماء ومعاصرين<sup>(٣)</sup> ولا يستبعد الدكتور زكي مبارك أن تكون هي مصدر الوحي للشاعر أحمد محرم في الالياذة الاسلامية<sup>(٤)</sup> .

ولا ينقض هذا ما ذكره محمد ابراهيم الجيوشى في كتابه عن أحمد محرم ص ٦١ من أن الذى دفع احمد محرم الى نظم ديوان مجد الاسلام خطاب بعث به اليه السيد محب الدين الخطيب يعرض عليه فكرة النهوض بتسجيل مفاخر الاسلام ، والتوفير على نفظه وقائمه حتى يتكون من مجموعها « الالياذة الاسلامية » فالاستجابة لهذا النداء لا يمنع استيحاء محرم عمرية حافظ . . . على أن تعدد البواعت والدوافع في العمل الواحد أمر لا يستبعد عقلاً وعادة .

وقد استهان حافظ مطولته بدعاء الى الله أن يهبه قدرة البيان وسرى المعانى وفصح القول ما يمكنه من قضاء حق عليه لم يف به أحد وهو نظم سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد قسم حافظ العمرية الى اقسام مختلفة الطول كل قسم يدور حول فكرة أو مرحلة أو واقعة في حياة عمر رضى الله عنه وأعطى لكل قسم عنوانه الدال عليه على الترتيب الآتى :

مقتل عمر - اسلام عمر - عمر وبيعة أبي بكر - عمر وغلبي - عمر وجبلة بن الأبهم - عمر وأبو سفيان - عمر وخالد

(٣) احمد محفوظ : حياة حافظ ٢١٨

(٤) زكي مبارك : حافظ ابراهيم ٥١

ابن الوليد - عمر وعمرو بن العاص - عمر وولده عبد الله -  
 عمر ونصر بن حجاج - عمر ورسول كسرى - عمر والشوري -  
 مثال من زهده - مثال من رحمته - مثال من تقشهه وورعه -  
 مثال من هيبته - مثال من رجوعه إلى الحق - عمر وشجرة  
 الرضوان - الخاتمة .

وقد جاءت هذه الخاتمة ليكشف فيها حافظ عن الباعث  
 أو الهدف الذي حدا به إلى نظمها وهو هدف تربوي أخلاقي  
 يتلخص في أمره أن يكون مثلاً أعلى للناس بعامة وللشباب وخاصة  
 بحيث يتذمرون مناقبه ، ويتخذون من هذا الماضي المضيء منطلقاً  
 لحياة طيبة في الحاضر والمستقبل ! وفي ذلك يقول :  
 هذى مناقبہ في عهد دولته

للشاهدين وللأعذاب أحكيها  
 في كل واحدة منها نابتة  
 من الطبائع تغزو نفسى واعيها  
 لعل في أمم الإسلام نابتة  
 تجلو لحاضرها مرآة ماضيها  
 حتى ترى بعض ما شادت أوائلها  
 من الصروح وما عاناه بانيها  
 وحسبها أن ترى ما كان من (عمر)  
 حتى يتبه منها عين غافلها (٥)

وهذا الهدف - بهذا المفهوم - الذي حددده حافظ . . .  
 هدف عام لا يختص بهذه العمارة وحدها بل هو الهدف التربوي  
 أو الأخلاقي الذي يتفيأه كل من كتب التاريخ بصفة عامة وسيرة

الصالحين والاتقياء من القيادة والزعماء والمصلحين من الناس  
بصفة خاصة .

وهو ما نص عليه ابن خلدون في مقدمته اذ عرف التاريخ  
والغاية منه بقوله : « هو فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف  
الغاية : اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في  
أخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى  
تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومها في احوال الدين والدنيا » (٦)

وغير ما ذكرنا لا نستطيع ان نقطع بسبب ظاهر لنظم  
هذه المطولة فقد يكون الدافع - كما دهب بعض من كتب عن  
حافظ هو : « اعجب حافظ الشديد بالخليفة لعظيم مفخرة  
الاسلام والمسلمين ، وقد تكون القصيدة نفحة روحية أضفتها  
عليه صحبته لرعيم الشرق والاسلام الامام محمد عبده » (٧)

● ● ●

ولا شك ان معايشة حافظ للامام محمد عبده وايمانه الواثق  
به ااما وعالما ومصلحا كان له اثر كبير - باللاوعى أو باللاوعى -  
في شعر حافظ ، وما ظهر فيه من طوابع دينية لا تجاهه الى  
نظم العمرية دون غيرها .

---

(٦) مقدمة ابن خلدون ١٢ .

(٧) د ٠ عبد الحميد سند الجندي : حافظ ابراهيم شاعر  
النبل ١٤٨ . وعلى الرأى نفسه الاستاذ حسن كامل الصيرفي  
الذى يقول : « وهذه القصيدة لعلها من آثار صحبة حافظ للامام  
محمد عبده ظلت حبيسة حتى وجدت فرصة تكوينها » ( حافظ  
وشوقي ) ٧٠ .

قد يكون السبب في نظم هذه المطولة التاريخية هو الحرص على « أثبات الوجود الذاتي .. » وذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل :

كان حافظ يرى في نفسه أنه أكبر شاعر في مصر لا يفضله إلا شوقي (٨) ، فيقول من قصيده التي نظمها سنة ١٩٠١ :

قل للايو، جعلوا للشعر جائزة  
فيم الخلاف ؟ ألم يرشدكم الله  
انى فتحت لها صدراً تليق به  
ان لم تحلوه فالرحمن حلاه  
لم أخش من أحد في الشعر يسبقنى  
الا افتى ماله في الشعر الا  
ذاك الذى حكمت فيما براعته  
وأكرم الله والعباس مثواه (٩)

حافظ يجهز بأنه خير شاعر في مصر اذا استثنى شوقي ، ولعله كان يرى في أعماق نفسه أن شوقي لم يفضله بشاعريته ، وإنما فضلته بقربه إلى القصر وأنه شاعر الامير ، ولو لا ذلك لما فضلته ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى اذ يقول :

ذاك الذى حكمت فيما براعته  
وأكرم الله والعباس مثواه (١٠)

لقد رأى حافظ كيف بدأ شوقي حياته الفنية باخضاعها للخديو ومدائحه وما زال حتى حقق أمنيته ، فعاش له حتى

---

(٨) مقدمة أحمد أمين لـ ديوان حافظ ج ٢٥/١

(٩) ديوان حافظ ج ٢١٣/١

(١٠) مقدمة أحمد أمين ٢٦/١

في غزله ووصفه للخمر ، اذ تراه يضعها في مقدمات مدائحه .  
ولا يفرد بمقطوعات خاصة الا نادرا ، فحتى في شعره الشخصي  
لم يكن فيه لنفسه وانما كان يفكر فيه لاميره ، وفصل عن هذا  
الامير وقصره ، ومع ذلك لم يعد الى نفسه (١١) .

وقد يؤيد هذا النقد الخفى في بيت حافظ ما ختم به  
حافظ قصيده الطويلة التي أنشدها في مهرجان تكريم شوقي  
في ٢٩ من أبريل سنة ١٩٢٧ اذ يقول مخاطبا شوقي :

فإن كنت قوالا كريما مقاله  
فقل في سبيل النيل والشرق أو دع (١٢)

وحافظ هو « شاعر النيل » وهو « شاعر الشعب » ولهذا  
كانت شهرته وفي هذا المجال برزت شاعريته ... وكانى به يرى  
أن هذا هو المجال الحقيقى الذى يرجح شاعرية الشاعر و يجعل  
من مثله مقدما على شوقي « أمير القوافي » أو « أمير الشعراء »  
حتى لو اعترف حافظ ظاهرا بذلك :

« وما من شك أن حافظ كان ينظر إلى شوقي فيراه يصلو  
ويجول في ميدان التاريخ الفسيح فيبدع ويجيد ، فلراد أن  
يجرى في غباره وبخاصة بعد أن نظم شوقي مطولة المشهورة  
» نهج البردة « فنظم « عمريته » ليبين أنه ليس أقل استظهارا  
لأمور التاريخ من زميله » (١٣) .

فكأنما أراد حافظ أن يثبت وجوده الذاتي في هذا المجال

---

(١١) شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث ٣٩ .

(١٢) ديوان حافظ ١٣٠/١ .

(١٣) الجندي : السابق ١٤٩ .

الذى أجاد فيه شوقى وأبدع .. فقدم عطاء باهرا في نهج البردة والهمزية وقبل ذلك مطولته الرائعة ... كبار الحوادث في وادى النيل<sup>(١٤)</sup> التى قدم بها دليلا ساطعا على مدى احساسه بتاريخ وطنه وتراث أمته .. . اذ يعرض للخطوط العامة لحركة التاريخ المصرى بشكل ينبع عن مدى المame بحوادث هذا التاريخ على مر العصور ، ويسرد فيها تاريخ مصر الاسلامية منذ فتحها عمرو بن العاص .. . وهذه المطولة بالذات تكشف عن مدى اهتمام شوقى بالتاريخ واحتفائه به من ناحية ، وعن مدى اطلاعه على أحداث التاريخ من ناحية ثانية فضلا عن فهمه للدور الحضارى للتاريخ من ناحية ثالثة<sup>(١٥)</sup> .

● ● ●

وأعود فأقول مرة أخرى أن هذا التعليل الاجتهادى قد يصح ميررا لاتجاه حافظ الى الشعر التاريخى . ولكن يبقى بعد ذلك السؤال الذى طرحتناه من قبل وهو لماذا اتجه الى عمر بن الخطاب بالذات لينسج هذه المطولة ؟

لقد كان حافظ معبجا بشخصية عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقد نال من شعره في سياق قصائد الآخرى من الاشارات والتنويهات أكثر من غيره من الخلفاء .. ثم جاءت مطولة « العمريه » لتؤكد هذا الحب وذاك الاعجاب ..

(١٤) الشوقيات ٢/١٨

(١٥) قاسم عبده قاسم الشعر والتاريخ ( فصول ص ٢٤٠ )  
« المجلد الثالث ، العدد الثانى ، بنایر ، فبراير ، مارس  
١٩٨٣ » .

ويحتاج ذلك الى وقفة مع حافظ ابراهيم ثم وقفة مع شخصية  
عمر بن الخطاب ...

وخلصة ما نريد أن نقوله في وقوتنا مع حافظ أنه كان يشعر بنوع من الظلم أو الضياع الاجتماعي . لقد كان الرجل يعتقد أنه أشعر من في الساحة الأدبية بعد أستاذة البارودى طبعا ، والآبيات التي قالها والتى قد تحمل في ظاهرها اعتراضا بتفوق شوقي عليه ... هذه الآبيات فيها من الشكوى والنقد الاجتماعي المر أكثر مما فيها من الاعتراف الذى يمكن أن يقتنع به القارئ :

- فهو يرى أحق الناس بجائزة الشعر ، وتقدير الناس
- وهو لم يقطع بأسبقية شوقي وتفوقه عليه إنما هي مجرد خشية منه أن يحدث ذلك .
- ولو حدث ذلك فمرجعه ليس « عبقرية شوقي » إنما هو نوع من « التحكم الاميرى » أو ان شئت فقل قصر نظر الحاكم الذي

يحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقد ذكر حافظ في صورة ضمنية تعريضية في قصيده التي القاها في مهرجان « أمير القوافي » بقوله :

نمتك ظلال وارفات وأنعم  
ولين عيش في مصيف ومربع  
ومن كان في بيت الملوك تواوء  
ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع (١٦)

فكأنه يريد أن يقول «ليس بيد شوقي ولكن بيد عمرو» ..  
فظهوره وتفوقه لا يعود اليه ولكن يعود الى من أكرموا مثواه  
وأحاطوه بالنعمى ولبن العيش والظلال الوارفات .

- وهو أكرم من شوقي قوله لأن أغلب شعره للنيل والشعب  
والشرق وهذا ما يوحى به آخر أبيات هذه العينية (١٧) .

ويقول ابراهيم دسوقي أباظة :

« ... وكان حافظ اذا خلونا به يحمل على شوقي

---

(١٧) ولا يدفع هذا ما ينقل عن حافظ في بعض مجالسه من تفضيل شوقي على نفسه كالذى ينقله طاهر الطناحي عنه في كتابه عن الشاعرين ص ٩٠ وما بعدها فهو أدخل في باب المحاملات منه في باب الاحكام النقدية ، على أن الكاتب نفسه قد روى ما يدل على سحرية حافظ ونهاكمه على بعض قصائد شوقي ( انظر ص ٩٣ ) بل كان حافظ يزدري شوقي وبينال من شاعريته اذا أمر السنة النقلة وتأكد أنه لا يوجد من الجالسين من يروي ما يعلوه وينقله الى شوقي أو أولياء نعمته . ويقول خليل مردم - في لقاء مع حافظ في ٨ آذار سنة ١٩٢٦ - ٤ من رمضان ١٣٤٤ « ... عاب حافظ كثيرا من شعر شوقي ونعني عليه تنطعه ، قال : ما رأيت أحدا يكثر من الدعوة الى مكارم الأخلاق كشوقي وهو الذى يقضى ليه طائفا حوالى مواطن الريبة ومتناقلًا في عريات الترام ... وما أعجب بشيء كعجبني لأهل الشام في غلوهم بالاحتفاء به وبمالغتهم في تكريمه ، وفي قصائدهم التي قالوها فيه ما هو أحسن من قصيده . ( ص ١٦٣ من مقال خليل مردم : مع حافظ ابراهيم - مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق ج ٣ م ٣١ ) .

وشعره ، ولكنه لا يتنازل لنقد غيره ، ولا يسلم له بالامامة  
ولا يعترف له بالزعامة «(١٨)» .

وكان حافظ بعلن في جلساته الخاصة أن شوقى يخشى  
منافسة الآخرين له وأنه كفر بأخوة الادب وأخوة العرب (١٩) .  
وقد قص حافظ كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمى  
إلى مصر غريبا طريدا فحب أن يكون له في رحاب الخديو  
متسع ولكن شوقى خاف منافسة الشاعر العراقي فسد عليه  
الباب وقطع عليه كل رجاء وكفر في هذا بأخوة الادب وأخوة  
العرب وبالواجب نحو رجل شطت به الديار ، ووجد السيد  
عبد المحسن في الاستاذ الامام حجى ، ولكن الحمام لم يمهل  
الاستاذ الامام ، وهنا تهدرج صوت حافظ ودمعت عيناه ولم  
يستطيع أن يتم الحديث (٢٠) .

وعرف حافظ اليتم والفقير ... وعرف سوء الحال وبؤس  
المجد في نشأته وفي عمله بالمحاماة وفي عمله ضابطا وخاصة  
في الفترة التي عاشها في السودان ، اذ كان موضع اضطهاد  
سردار الجيش المصرى (لورد كتشنر ) ، والى جانب ذلك كان  
رئيس فرقته (رفعت بك) يكرهه ويرفع التقارير السيئة عنه ،  
فاصطلحت كل الظروف على أن يجعل حياته في السودان جحينا  
لا يطاق (٢١) الى أن أحيل الى الاستيداع في ٣ مايو ١٩٠٠ وفي

---

(١٨) أبولو بوليو ١٩٣٣ ص ١٣٤٥ من مقال له بعنوان  
حافظ كما عرفته .

(١٩) راجع : محمد هارون الحلو : حافظ ابراهيم شاعر  
القومية العربية ١٢١ .

(٢٠) انظر الحلو : السابق نفس الصفحة .

(٢١) الجندي : حافظ ابراهيم ٣١

اول نوفمبر ١٩٠٣ أحيل على المعاش بناء على طلبه وكان مرتبه في الاستيداع أربعة جنيهات في الشهر (٢٢) .

وكانت رسائله التي يبعث بها من السودان الى الامام محمد عبده تنضح بالشكوى والشعور الحاد بالوحشة والمارارة والبؤس واليأس (٢٣) .

ويبلغ شعوره بالبؤس مداه حتى أنه يستجدى بشعره صرامة ٠٠٠ فى سنة ١٩٠٠ قصد حافظ البارودى بعد عودته من منفاه ومدحه بقصيدة دالية جاء فيها :

أتيت ولى نفس أطلت جدالها  
سيقضى عليها كربها اليوم أو غدا  
فان لم تداركها بفضل فقد أنت  
تودع مولاها وتستقبل المردى

فلما سمع البارودى هذين البيتين بكى بكاء حارا ، وناشد حافظ أن يحذف هذين البيتين من القصيدة ، ثم نهض من مجلسه وعاد الى حافظ ، فناوله مظروفا به أربعون جنيها ذهبيا هي قيمة ما كان مقررا للبارودى من معاش شهرى وقال لحافظ : « اننى أبكى لأنى عشت الى زمن يقدم فيه مثلى الى مثلك هذا المبلغ الضئيل » (٢٤) .

---

٠ ٣٣ ) السابق (٢٢)

(٢٣) أنظر رسالته الى الامام محمد عبده في ديوانه ١٢٥/٢ .

(٢٤) طاهر الطناحي : شوقى وحافظ ١٢٥ - ١٢٦ .  
وأنظر القصيدة في ديوان حافظ ٧/١ وقد حذف منها حافظ هذين البيتين تلبية لرغبة البارودى .

ويشكك طه حسين في « جدية هذا المؤس » حتى ليقاد يقول أنه المؤس مفتعل مدعى ، فيقولون في معرض حديثه عن نرجمة حافظ قصة المؤس لفكتور هوغو ... فالحق أننا عززنا (حافظ) قد تكلف جهداً عظيماً وعناء شديداً في هذه الترجمة ، ( ترجمة كتاب المؤس ) ولست أدرى : لم اختره ؟ بل ربما كنت أدرى ، فقد ذكر أن قد كان البدع في أيام صبائ تكلف المؤس ، وانتهان سوء الحال ، والافتتان في شكوى الناس والزمان ، كان ذلك بداعاً في العقد الأول من هذا القرن ١ وكان حافظ يذيع هذا البدع ويروجه « (٢٥) .

ومن كتبوا عن حافظ (٢٦) من يرى رأياً قريباً من رأى طه حسين وأنه بالقياس العام كان المؤس « وهمياً لا حقيقياً » وأن « شكوى حافظ من المؤس طول حياته شيء يتفق مع طبيعته وأن كان لا يتافق مع واقعه بالمفهوم العام ، وأننا لو نظرنا إلى حافظ من منظور عصره قلنا أنه لم يكن فقيراً ولم يكن بائساً حتى في أيام يتمه وفي أيام كفالة خاله له وفي أيام بطالته » (٢٧) .

ويمضي الباحث ملتفطاً من حياة حافظ وآلته وقائمه وحقائق تدل على أن حافظ والله لم يذوقوا ذل الفقر والمؤس بالقياس العام وأن دخل حافظ - حتى لو انحصر في الجنينيات الأربع معاشه الشهري - كان يكفي لحياة كريمة بمعيار زمانه

---

(٢٥) طه حسين : حافظ وشوقى ٧٧ .

(٢٦) أحمد محمد على في مقال طويل له بعنوان : « المؤس حافظ بين الحقيقة والوهم » مجلة فصول السابقة من ص ٩٣ إلى ص ١٠١ .

(٢٧) السابق : ٩٧ .

فما بالك بشخص تمنحه وزارة المعارف الفى جنيه مقابل تقرير كتاب «البؤساء» في وزارة المعارف؟ (٢٨) ٠٠٠ الخ ٠

والواقع أن الباحث ينazu حيث لا قضية ولا خصوم :

١ - فالبؤس أو الفقر لا يرتبط بقلة الدخل أو ضخامته بقدر ما يرتبط بطريقة المعيشة وصورتها ومكان القصد والاعتدال أو التبذير والاسراف فيها ٠

٢ - والذين تحدثوا عن بؤس حافظ لم ينكر هذه الارقام التي كان يستقبلها كل شهر أو مناسبات معينة كما اعترفوا أن اسرافه كان من أسباب فقره وبؤسه (٢٩) ٠

٣ - ومن أسباب ذلك أيضاً أن حياته كانت سلسلة من الاحفاقات التي لم تعرف النجاح العملى الذى يكفل له حياة مستقرة ، ولعل ذلك كان من حسن حظ الادب ٠

---

(٢٨) السابق : ٩٩ ٠

(٢٩) ومن أغرب وقائع اسرافه ما يرويه الاستاذ خليل مردم من أن حافظ سهر مرة في القاهرة يلعب الطاولة مع أحد أصدقائه فلما طال أمر اللعب نبهه أحد الحاضرين الى أن آخر قطار يسير من القاهرة الى حلوان حيث يسكن حافظ قد دنا وقته ، فلم يلتقط اليه حافظ حتى اذا انتهى من اللعب بعد فوات وقت القطار طلب الى الشركة أن تجهز له قطار خاصا من القاهرة الى حلوان ، وكان الامر كذلك ودفع الاجرة الضخمة المعينة مثل هذا الحال ٠ ( خليل مردم : حافظ ابراهيم على سجيته ٥٤٠ ص ٥٤٠ مقال في مجلة المجمع العلمي العربى «دمشق» ج ٤ م ٣١ ) ٠

٤ - وليست العبرة بوجود البؤس أو عدم وجوده في واقع الحياة . . . بل المهم هو « الشعور » نفسه . . احساس الشاعر بالمرارة والضياع والظلم واليأس . . وهذا هو ما يعني مؤرخ الادب وناقده حين يعرض لحياة الشاعر وفنه وهذا هو الفيصل الحاسم بينهما وبين المؤرخ .

لقد كان حافظ يؤمن بأنه منحوس في حياته محروم من القدر فيقول :

أصاب رفاقي القدر المعلى  
وصادف سهمي القدر المنينا  
فلو ساق القضاء إلى نفعا  
لقام أخوه معترضاً شحينا (٣٠)

وأصبحت هذه الفكرة تسيطر عليه كأنها عقيدة ثابتة فكانت تلح عليه في كثير من قصائده فيقول في قصيدة أخرى :

لكنني غير مجدود وما فتئت  
يد المقادير تقصيني عن الارب  
وقد غدت وآمالى مطرحة  
وفي أمرى ما للقضى فى الذنب (٣١)

ويبلغ به اليأس حدا يتمنى معه الموت فيقول :

---

(٣٠) انديوان ١١٣/١ :

(٣١) انديوان ١١٨/١ . . . ويقال في الامور التي تستعصى على الحل « اعقد من ذنب الضب ». ( انظر الميداني : مجمع الامثال ) .

فهي رياح الموت نكبا واطفال  
سراج حياتى قبل أن يتحطمها (٣٢)

ثم كانت نكته الكبرى في وفاة الامام محمد عبد الله سنة ١٩٠٥ ، فاشتد به اليأس وعاودته الشكوى من الزمان وأهله فلم يجد من قومه مسعا (٣٣) . وفي سنة ١٩٠٨ قضت أمه ، وبعد قليل لحق بها خاله محمد نيازى ، ولم يبق له من ذوى رحمه الا أرملة خاله « السيدة عائشة هانم » (٣٤) .

هذه النفس البائسة المحروبة التي تحس احساسا قويا بالظلم الاجتماعي القدرى ان صر هذا التعبير ما كانت تجد سلواها الا في نموذج من نماذج العدل الكبرى مثل عمر ابن الخطاب الذى قالت فيه السيدة عائشة - رضى الله عنها - « اذا ذكر عمر ذكر العدل ، و اذا ذكر العدل ذكر الله ، و اذا ذكر الله نزلت الرحمة » (٣٥) . وقد يكون هذا الاحساس هو الذى وجده - واعيا أو غير واع الى هذا الملذ الامين .. رمز العدل والحق والانصاف على مدار التاريخ الاسلامى كله :

عمر بن الخطاب الذى تتم ابيات حافظ على ان عدله كان عدلا فريدا لا يمكن ان تتجزء اية شخصية اخرى في التاريix (٣٦) .

● ● ●

---

(٣٢) الديوان ١١٥/٢

(٣٣) الطناحي : شوقى وحافظ ١٢٩

(٣٤) الجندي : حافظ ابراهيم شاعر النيل ٣٩

(٣٥) الكتانى : نظام الحكومة النبوية ٠

(٣٦) نبيلة ابراهيم : شعيبة شوقى وحافظ ٢٢١ . فصول ٣ العدد الثانى ( ينابير ، فبراير ، مارس ١٩٨٣ ) .

وخارج نطاق نفس حافظ هناك تعليل عام لاتجاه حافظ الى شخصية عمر بن الخطاب نص عليه الاستاذ عبد الحليم العبادى و يؤيده في ذلك الوضع المنهار الذى كان العالم الاسلامى يعيشه بعد ظهور امارات انهيار الخلافة العثمانية . يقول الاستاذ العبادى : « فلعل الباعت له ( على نظم العمريه ) ما رأهمن التيات حال العالم الاسلامى ابان الحرب العالمية الاولى ، وفساد أمر الخلافة فراد أن يجلو على المسلمين صورة لأقوى شخصية ظهرت في الدولة الاسلامية وهى شخصية عمر ابن الخطاب فيكون للناشئة فيها مثلا يحتذونه وينسجون على منواله » (٣٧) .

فكأن حافظ يريد أن يقول ان خلا حاضرنا من الشخصية القوية الفائقة المجمعة فى تاريخنا البعيد مثل هذه الشخصية الجديرة بأن تكون مثلا أعلى للمسلمين والاجيال القادمة .

● ● ●

وهذه المطولة ليست سردا مسببا لتاريخ الخليفة عمر ابن الخطاب وأعماله وموافقه كما ذهب الدكتور الجندي (٣٨) فالسرد المسبب بتاريخ مثل هذه الشخصية يحتاج الى مطولة أو ملحمة من آلاف الابيات ، وهذا ما لم يرم اليه حافظ ، وما كان ليستطيعه لو أراده .

(٣٧) مجلة الكتاب ج ١٠ اكتوبر ١٩٤٧ السنة الثانية  
ص ١٥٨٠ .

(٣٨) د . عبد الحميد الجندي : حافظ ابراهيم شاعر  
النيل ١٤٨ .

كما أنها ليست قصة كما ذهب الاستاذ الطناحي (٣٩) انما هو منظومة « تاريجية اجتماعية » اعتمد فيها حافظ على ركيزتين :

الاولى : التقاط بعض الحوادث التاريخية الدالة على شخصية عمر .

الثانية : ابراز المناقب واللامح النفسية والروحية في شخصية عمر من ايمان وعدل ورحمة وحزم وتواضع .. الخ .

وأمل الا تكون مغاليا اذا رأيت ان هذا الجانب النفسي الاجتماعي يغلب على الجانب الاول او بتعبير آخر ان الواقع التاريخية التي تقطها حافظ من تاريخ عمر ابن الخطاب انما سبقت لا ذاتها ولكن لتعكس دلالاتها النفسية والاجتماعية ولبيث حافظ في تصاعيفها غير قليل من خواطره النفسية ورؤيته الاجتماعية والسياسية . ومن ثم نستطيع ان نسجل بالنسبة لهذه الواقع عدة حقائق أهمها :

١ - أنها وان حملت دلالات نفسية واجتماعية لها قيمتها فان كثيرا منها لا يشغل حيزا كبيرا من الواقع التاريخي . . . ولا يشغل حيزا زمنيا رحيبا منه .

---

(٣٩) شوفى وحافظ ص ١٥٣ وقد قال عنها أنها قصة بلية لو أن حافظ كان حولها الى حوار لاصبحت من أبلغ المسرحيات . والواقع أن استعداد حافظ الثقافي وموهبة الشعرية ما كانا يسمحان له بنظم هذا النوع من الفن ، وقد جرب قلمه في هذا المجال فأخفق اخفاقا ذريعا في تمثيلية ساذجة بعنوان ( منظومة تمثيلية ) : الديوان ٦٩/٢ .

٢ - أن بعض هذه الحوادث غير وثيق ولم يرد إلا في كتب الأخبار والطرائف والحكايات كقصة تسور عمر السور على الشاريين .

٣ - أن حافظ لم يلتزم الترتيب التاريخي لهذه الوقائع : فقد بدأ بحادث مقتل عمر على يد أبي لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة .

ثم يورد حادث عزل خالد بعد حادث جبلة بن الأبيهم وما دار بين عمر وبين أبي سفيان وال الصحيح أنه وقع قبلهما . وقدم كذلك قصة ستة الشورى م ٩١ وحده أن يأتي بعد مشهد مقتله وقبل الخاتمة ص ٩٧ أى أن يكون آخر المشاهد لو كان حافظ حريصا على الترتيب التاريخي .

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الهدف الأصلى هو الابعاد والمناقب واللامح الانسانية قبل تقرير الواقع التاريخي شأن المنظومات التاريخية كما فعل أحمد محرم في ديوان مجد الاسلام فقد كان أحرص على الالتصاق بالواقع التاريخي وأقرب الى روحه من حافظ .

هذا الشاعر الذي يستبدل به هذا الشعور الحاد بأنه بائس ضائع مظلوم مهضوم وجده متنفسه وراحته الكبرى في حصن المظلومين والبؤساء والمستضعفين عمر بن الخطاب . . . ومن ثم كانت الصورة النفسية الاجتماعية أوضح وأجلj وأعلى ثبرة من وقائع التاريخ التي كانت - كما ألمت آنفا - مجرد وسيلة لتحقيق هذه المصامن النفسية التي كانت تعويضا أو « معادلا موضوعيا » لقيم افتقدتها حافظ - أو بتعبير أدق ففدها في المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى أصبحت مصر كما يخاطبها :

فما أنت يا مصر دار الأديب  
ولا أنت بالبلد الطيب (٤٠)

ومن هنا كانت عمريتها « استحضارا لشخصية عمر » فغلب  
عليها أسلوب المناجاة والتغنى بقيمة الإنسانية العليا من عدل  
وانصاف وانتصار للضعفاء والمظلومين وحزم ورحمة  
وشفقة . . . الخ

- كم خفت مضمون دعائك به  
وكم أخفت قويا ينثني تيها (٤١)

- فلا الحساب في حق يجاملها  
ولا القرابة في بطل يحابيها (٤٢)

- شاطرت داهية السواس ثروته  
ولم تحفه بمصر وهو واليها

وأنت تعرف عمرا في حواضرها  
ولست تجهل عمرا في بواديها (٤٣)

- وهذه خطبة الله واضعها  
ردد حقوقا فاغنت مستميحها

ما الاشتراكية المنشودة جانبها  
بين الورى غير مبني من مبانيها (٤٤)

---

(٤٠) الديوان ٢٥٦/١

(٤١) الديوان ٨٢/١

(٤٢) السابق ٨٤/١

(٤٣) السابق ٨٧/١

(٤٤) السابق ٨٨/١

- أمنت نما أقامت العدل بينهم  
 فنمت نوم قرير العين هانيها (٤٥)  
 - وما استبد برأي في حكومته  
 ان الحكومة تغري مستبديها  
 رأى الجماعة لا تشقي البلاد به  
 رغم الخلاف ورأى الفرد يشقها (٤٦)  
 - ان جاء في شدة قوم شركتهم  
 في الجوع أن تنجلى عنهم غواشيه  
 جوع الخليفة - والدنيا بقبضته  
 في الزهد منزلة سبحان مولتها (٤٧)  
 في طى شدته أسرار مرحمة  
 للعالمين ولكن ليس يغشيه  
 وبين جنبيه أو في صرامته  
 فؤاد والدة ترعى ذراريها (٤٨)

● ● ●

ولأهمية العمرية - والتى تعد أشهر قصيدةنظمها حافظ  
 في حياته نجد لزاما علينا أن نقف وقفه نقدية قصيرة أمامها تبين  
 عن جنسها الأدبى وتكشف عن بعض ما فيها من قيم أدبية بعد  
 أن أشرنا إلى ما فيها من قيم انسانية :  
 لقد ذهب بعض المحدثين إلى أن العمريه تعتبر من الشعر  
 القصصى وأنها « قصة بلية لو حولها حافظ إلى حوار لاصبحت  
 من أبلغ المسرحيات » (٤٩) .

(٤٥) السابق ٩٠/١ . (٤٦) السابق ٩١/١ .

(٤٧) السابق ٩٣/١ .

(٤٨) السابق ٩٤/١ .

(٤٩) طاهر الطناхи : شوقى وحافظ ١٥٣ .

وهذا الحكم الخاص بالعمرية يعد تفريعاً على حكم عام أصدره الكاتب على شعر حافظ فهو يرى أن أغلب قصائده التي نظمها في نحو خمسة وأربعين عاماً من حياته أقرب إلى القصة والمسرح في موضوعاتها وأسلوبها الروائي . ولو أنه اتجه جدياً إلى ذلك لكان من شعره ثروة روائية باقية لانه تناول مأسى مصر الاجتماعية وأمانيتها القومية وسعيتها للحرية .. ولأنه على قدرة عالية في دقة الوصف والقصة والمسرحية تعتمدان على الوصف ، وهما من الأدب الواقعي لا الأدب الانساني ... ٥٠ )

وهو رأي غريب يمكن مناقشته من وجهتين :

الوجهة الأولى : أن القصة والمسرحية - وإن اعتمدتا إلى حد كبير على الوصف - فهما يعتمدان أساساً على ملوكه الخلق والإبداع ، والقدرة على التركيب والتعقيد ، والا لجاز أن يكون كل شاعر بارع في الوصف قصائصاً أو تمثيلياً .

والاغراض الاجتماعية والقومية والسياسية التي طرقتها حافظ لا يمكن أن تتخذ دليلاً على قدرة الشاعر أو استعداده للون النصصي والتمثيلي .

الوجهة الثانية : أن الشعر القصصي والمسرحى يحتاج إلى ثقافة واسعة ، ودراسة عميقية ، وتدوّق رفيع للذوق الدرامي العالمي ، وهذا ما لم يتوفّر لحافظ ، وما كان حافظ بامكانياته الفكرية والثقافية المحدودة ليستطيع أن يضرب بسهم واfer في هذا المجال . وهو على هذا الاعتبار أعجز من أن يجارى شاعراً

كخليل مطران في مجال القصة الشعرية<sup>(٥١)</sup> أو يجاري شوقي في مجال «الشعر التمثيلي» . ولعل في انصرافه عن هذين الفنانين خيراً كثيراً للشعر العربي ولحافظ نفسه فكان فائقاً في الشعر القومي والشعر الاجتماعي والمراثي .

وقد اعترف الطناحي نفسه بهذه الحقيقة حين قال : « ان حافظ كان من طبعه الكل ، وكان يشكو عدم التشجيع ، بل صادف في شبابه الكثير من التثبيط والاهمال والاضطهاد ومعاكسة المحتلين الانجليز ، فكان يكافحهم بقصائد الوطنية والسياسية ، وبكي واشتكي لحظه العاشر ثم شغله رثاء زعماء الوطنية والمجد الوطنى عن أن ينصرف عن أدب القصة والمسرح الذى يحتاج إلى الوقت الكاف والنفس الهادئة المطمئنة »<sup>(٥٢)</sup>

ويكاد يكون هناك شبه اجماع من كتبوا عن حافظ أنه كان ملولاً قصيراً الصبر لا يستقر على حال ولم يكن يعكف على قراءة منظمة ذات منهج مرسوم ولم يكن يتعمق ما يقرأ ، وكان يضيق بالوان المعرفة التي تتطلب من ناشدها التعمق وطول التفكير . . . والذين رثاهم أو قرظ كتبهم دل ما نظمه على أنه لم يقرأ ما كتبوا أو ترجموا . وقد تكون هذه الضحالة الثقافية هي السبب في قلة الثقافة للتاريخ في شعره .

---

(٥١) لخليل مطران أكثر من قصة شعرية وقصيدة قصصية وهو يعتبر الرائد الحقيقي لفن القصصي الشعري في الشرق العربي . ومن أشهر قصائد القصصية مطولته الملحمية «نيرون» التي جاءت في ٣٢٧ بيتاً على وزن واحد وقافية واحدة ، وقد تنوّعت قصصه الشعرية في الموضوعات ، فحلقت في آفاق وطنية واجتماعية وانسانية .

(٥٢) الطناحي : شوقي وحافظ ١٥٠ .

وكان معرفته باللغة الفرنسية سطحية جداً أما ما قيل أنه ترجم كتاب المؤسأ فقد سجل عليها طه حسين من المأخذ ما خلص منه في النهاية إلى أنه «كتاب من تأليف حافظ وليس نرجمة لبوسأ فيكتور هوجو» . وكذلك كتاب «الموجز في الاقتصاد» الذي ينسب لحافظ خليل مطران ترجمته عن الفرنسية ، فمن المقطوع به أن الذي استقل بترجمته هو خليل مطران ولم يكتب حافظ إلا مقدمته (٥٣) .

على أن خيال حافظ لم يكن في الغالب الاعم من النوع الابتكاري الخلاق ، فهو كما قال أحمد أمين كان «خيالاً قريب

---

(٥٣) أنظر مقدمة أحمد أمين لديوانه ص ٢٠ - ٢١ وعبد الحميد الجندي : حافظ ابراهيم شاعر النيل من ص ٧١ إلى ص ٧٣ . وطه حسين : حافظ وشوقى ١٨٢ إلى ٨٦ . والعقاد شعراً مصر ص ١٧ . ود. شوقى ضيف : الاذ بالعربي المعاصر في مصر ص ١٠٥ ، ١٠٩ . وعبد السميم المصري : شوقى وحافظ ٥٧ . وأنظر كذلك ص ١٣٩٢ من مجللة أبولو يوليو ١٩٣٣ دراسة لاحمد محمد عيش بعنوان ( سيرة حافظ ) وفيها يقول أن «حافظ» قد اقتبس من قصة المؤسأ لهوجو جزئية صغيرة ولم يستطيع اتمام ترجمتها لما لاقاه من المشقة والعناء لعدم تمكنه من أسرار اللغة الفرنسية من جهة ، ومن جهة أخرى لغرامه المنقطع النظير باللفظ مما حشده بالترجمة العربية .

وقد بذل حافظ في ذلك كما يقول الدكتور سامي الدهان - جهداً غريباً فقد لبث يقلب العربية ومفرداتها واستعارتها حتى خرج به عن أسلوب شاعر فرنسا ليلبسه ثوباً أموياً في المؤسأ بعيداً كل البعد لا صلة بينه وبين الأصل الا تشابة الأفكار والحوادث ( د. سامي الدهان : شاعر الشعب ٦٤ ) .

قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب إليه النفوس » (٥٤) .

● ● ●

حافظ أذن لم يكن يملك الاداة التي تمكنه من أن يجعل من القصص الشعري غرضاً يقف على قدم المساواة مع أغراضه الشعرية التي بز فيها شعراء عصره كالمراثي والشعر الاجتماعي (٥٥) .

● ● ●

فإذا ما تركنا الحكم على حافظ إلى العمري ذاتها وجدنا من الصعب بل من المستحيل أن نعدها ملحمة أو قصة ، فهي

---

٤٠ المقدمة (٥٤)

(٥٥) انظر مثلاً إلى تمثيليته الساذجة التي أشرنا إليها . وأنظر قصته المفتولة التي اتخذها توطئة إلى مدح البارودي (الديوان ٧/١) والتي بدأها بعد عدة أبيات بقوله : وفتانه أوحى إلى القلب لحظنا

فراح على الإيمان بالوحي واغتنى  
وفيها يظهر تأثره بمفرداته التراثية وخصوصاً قصة يوسف وأمرأة العزيز في القرآن (يوسف ٢٤) ورائحة عمر ابن أبي ربيعة التي مطلعها :  
أمن آل نعم أنت غاد فمبكر  
غداه غد أم رائح فمبكر  
(ديوان عمر بن أبي ربيعة ٩٩) .

وان كان فيها شخصية « البطل التاريخي » الذى يستقطب كل الاحداث وترتبط به الشخصيات الثانوية الاخرى - على نحو من الانحاء - الا أنها خلت من التعقيد والتركيب والحبكة القصصية . وفرق بين نظم السير والشعر القصصى ، ذلك لأن الاول عمل الى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعراً أو قد يحوله نظماً ، وهو لذلك لا يعالج حرباً ولا ملحمة بعينها وإنما يعالج سيرة مطولة فيها الحرب وغير الحرب (٥٦) ولا يتطلب من الشاعر القصصى أن يشوه التاريخ أو يحرفه ، ولكن يطلب منه أن يمثل حقائقه لا كما هي في الواقع بالضبط ، ولكن كما تبدو في خياله وخبراته ، فإذا سار على الصراط التاريخي ، ولم ينحرف يميناً ولا شمالاً فإنه حتماً يسقط دون غايته (٥٧) .

وقصاري ما يقال في العمرية أنها مطولة تاريخية شعرية والمطولة الشعرية كما يرى الدكتور عز الدين اسماعيل بحق تعدد تطوراً جديداً للملامح من جهة ، وللقصيدة الغنائية من جهة أخرى بعد أن تركت بدايتها الغنائية العاطفية الصرف ، وتتطورت بتطور الحضارة ، ودخل فيها العنصر الفكري ويعتبر هذا اللون أهم لون شعرى في الأدب المعاصر ، وقد بدأ شعراً ها ينصرفون إلى هذه المطولات ، وكان انصرافهم اليها أمراً من الصعوبة بمكان لأنهم كانوا محتاجين إلى أن يغيروا فلسفهم الفنية تغييراً جوهرياً حتى يتنقلوا من جماليات الشعر العربي

(٥٦) د. شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي  
المعاصر ٥٤ .  
(٥٧) السابق ٥٥ .

الغنائي القديم الى جماليات التجربة والفكر الفعال ، وما يصحب ذلك من تغييرات جوهرية في الاطار والتكونين (٥٨) .

والخلاصة ان منظومة حافظ العمرية لا يمكن اعتبارها ملحمة او قصه شعرية ، كذلك لا يمكن اعتبارها شعرا تاريخيا من النوع التسجيلي التقريري كأرجوزة ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد والتي نظمها مسجلأ فيها غزوات الملك الناصر في الاندلس الى عام ٣٢٢ هـ وجاءت في ٤٥٦ بيتا (٥٩) .

ولكنها مطولة شعرية تاريخية تكاد تخلو من طابع الجفاف لسهولة أسلوبها ورشاقة الفاظها وتدفق عباراتها . أما الخيال فيها - وان جاء تقليديا قريبا غير مطلق في سماء الابداع - فانه لم يخل من مسحات جمالية آسرة كهذه الصورة الممتدة لدولة الاسلام في عزتها وقدرتها :

واها على دولة بالامس قد ملأت  
جوانب الشرق رغدا من أياديها  
كم ظلتها وحاطتها باجنبضة  
عن اعين الدهر قد كانت تواريها  
من العنایة قد رشت قنواتها  
ومن صميم التقى رشت خوافيها (٦٠)  
وذلك التصوير البارع لبطولة خالد وبلاهه وبأسه وقدرته  
على تحقيق الانتصارات في أسرع وقت :

(٥٨) انظر د. عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ١٢٢ - ١٢٥

(٥٩) انظرها في العقد الفريد ٤ / ٥٠٠

(٦٠) الديوان ٧٨/١

سل قاهر الفرس والروم هل شفعت  
 له الفتوح وهل أغنى توالياها  
 غزى فابل وخييل الله قد عقدت  
 باليمن والنصر والبشرى نواصيها  
 يرمى الاعدادى بأراء مسددة  
 وبالفتوح قد سالت مذاكىها  
 ما واقع الروم الا فر قارحها  
 ولا رمى الفرس الا طاش راميهما  
 ولم يجز بلادة الا سمعت بها  
 الله اكبر تدوى في نواحيها  
 عشرون موقعة مرت محلة  
 من بعد عشر بنان الفتح تحصيها  
 وخالد في سبيل الله موقفها  
 وخالد في سبيل الله صاليها (٦١)

وهي صورة القائد المظفر الذي تحقق فيه كل ملامح  
 القيادة الرشيدة ببعادها المادية من قوة الجسد والسلاح والكر  
 والفر ، وأبعادها العقلية من حسن التخطيط وسداد الرأى  
 والتدبیر ، وأبعادها النفسية من شجاعة وجرأة زرعت الرعب  
 والهلع في قلوب الاعداء .

ويرى أحد محفوظ أن حافظ ابراهيم قد بدأ العمرية  
 « بداية غير موفقة » فقد قتل الرجل قبل أن يجلوه للقراء (٦٢)  
 على أن حافظ استخدم في هذه العمرية ما يسمى في الادب  
 الروائى بالـ FLASH BACK ويعنى استحضار الماضي

(٦١) الديوان ٨٥/١

(٦٢) حياة حافظ ابراهيم ٢١٧

أو الرجوع الى الماضي والقاء الضوء عليه . فهو قد بدأ مطولة  
 بآخر مشهد من مشاهد الحياة العمرية وهو مشهد « مقتل  
 عمر » ثم بدأ يستحضر الحياة العمرية بادئاً باسلام عمر مثنياً  
 بموقفه من السقبة ... منتقياً بعد ذلك من الحياة العمرية  
 وقائع تنم عن شمائله في القوة والحزم والعدل والرحمة دون أن  
 يتلزم فيها بالترتيب التاريخي كما ذكرنا آنفاً . على أن حافظ  
 باعتباره شاعراً لا يقتيد - كما يقول شارح العمريه - بقيود  
 الترتيب التاريخي لأنه لم يكن مؤرخاً وإنما هو ذو فن ووحي  
 شعري ، وكل ذي فن يعمد الى أروع الصور وأفجع الحوادث  
 فيجعلها شذى موضوعه ، والصورة الفاجعة تلفت النظر وتتبه  
 الشعور فيكون التأثير بها أبلغ ، والمدى بافادتها أبعد ... بدأ  
 حافظ يذكر مقتل الامام عمر والامام العادل ليتبه شعور القارئ  
 ويشير من نفسه الشعور بفداحة الفجيعة بمقتله وليلفت النظر  
 الى الاثر البعيد الذي تركه هذا الحادث لابو نهضة الاسلام  
 وفيما دولته (٦٣) .

وكل ذلك ينفي عن المطولة أن تكون من الشعر التقريري  
 التسجيلي كما تضفي عليها ظلالاً قصصية ولكنها ظلال ناصرة  
 لا تدخلها فن الملهمة أو القصة كما زعم بعض النقاد . ويفيها  
 فخراً أنها أشهر قصائد حافظ على الاطلاق كما أنها من أشهر  
 المطولات في شعر العصر الحديث .

ويسجل التاريخ للعمريه أنها فتحت الباب لهذا النهج من  
 المطولات الشعرية التي تتناول شخصيات الراشدين وأشهر هذه

---

(٦٣) مصطفى الدمباطي : ذكرى حافظ : شرح القصيدة  
 العمريه ص ١٨ ، ١٩ .

المطولات : علوية عبد المطلب وبكريه عبد الحليم المصري ..  
 والعلوية أشهر من البكريه وان كانت العمريه نالت من الاحتفاء  
 والاعجاب أكثر مما نالها كلتيهما .. وتنتمي للبحث في العمريه  
 ترى لزاما علينا أن نقف وقفه متأنية أمام علوية عبد المطلب  
 لنتبين مكانها من العمريه ومكان العمريه منها .

والعلوية (٦٥) أطول من العمريه بكثير اذ تبلغ أبياتها  
 (٣٠٧) سبعة وثلاثمائة بيت بينما أبيات العمريه مائة وسبعين  
 وثمانون بيتا . وقد القاها عبد المطلب بالجامعة المصرية في  
 يوم الجمعة ٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ في حفلة أقيمت برئاسة  
 شيخ الشعراء اسماعيل صبرى .

ويرى المرحوم عمر الدسوقي أن محمد عبد المطلب لم  
 ينظم هذه القصيدة الا تحدياً لعمريه حافظ التي القاها في ٨ من  
 فبراير سنة ١٩١٨ بمدرج وزارة المعارف اى قبل علوية  
 عبد المطلب بأكثر من عام (٦٦) كما يرى العقاد كذلك أنه أنشأها  
 ليعارض بها حافظ في قصيدته العمريه (٦٧) .

(٦٥) ديوان عبد المطلب من ص ٢٣٠ الى ص ٢٥٠ .

(٦٦) في الادب الحديث ٣٥٤/٢ .

(٦٧) العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ٤٩  
 وربما قصد العقاد هنا المعارضة بمفهومها العام الذي يعني  
 التحدى لا بمفهومها الفنى الذي يعني أن تكون القصيدتان على  
 وزن واحد ورثى واحد وأن تدور حول موضوع واحد بقصد  
 التحدى ( انظر في تعريف المعارضة والفرق بينها وبين المتابعة  
 على النجدى ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي من ص ٣٢  
 الى ص ٣٧ ) .

وحتى لوانتفى التحدى فمما لا شك فيه أن عبد المطلب نظم علويته وتنصب عينيه عمرية حافظ والرئيسي الذي أحدثه في الأوساط الأدبية والدينية والاجتماعية ، لذلك حرص على أن ينشدها في مجتمع حافل كما فعل حافظ .. وحرص على أن يكون للعلوية نفس الأثر الذي تركته العمرية في نفوس النقاد بل أقوى وأشد حتى أنه بادر العقاد بعد أن استمع للعلوية متسائلا : « ما رأيك في القصيدة وموضوعها واستهلالها ؟ السنن نعجبكم الآن يا أنصار الحديث » .

وكأنى بعيد المطلب كان يرى أنه قد تفوق على حافظ لا في طول النفس فحسب ، ولكن هذا هو الامر في « الاستهلال الجديد » الذى يدور حول وصف الطائرة وتمنيه أن يوهب طائرة لعله « يلقى بها على السحب الاماما » .

ولكن دعك من هذا فالذى لا شك فيه أن قارئ المطولتين يحس أن عبد المطلب قد تأثر بحافظ في عدة جوانب شكليه منهجية تتلخص فيما يأتي :

١ - فكما فعل حافظ قسم عبد المطلب قصيده الى أجزاء غير متساوية تبعا للمواقف المشاهد والشمائل التي لعلى ابن أبي طالب كرم الله وجهه وأعطى لكل جزء عنوانا ابتداء من صباح واسلامه وانتهاء باستشهاده على يد الرحمن بن ملجم . وذلك على النحو الآتى :

- ١ - على في صباح وسلامه (٢٣١)
- ٢ - استخلافه ليلة الهجرة (٢٣٢)
- ٣ - على بالمدينة (٢٣٣)
- ٤ - أحد (٢٣٥)

- ٥ - يوم الخندق (٢٣٦)  
 ٦ - يوم خيبر (٢٣٨)  
 ٧ - قتل، مربب (٢٣٩)  
 ٨ - زعامته في المواطن (٢٤٠)  
 ٩ - على في السلم : (١) قلبه ٢٤١  
 (ب) نفسه ٢٤١ (ج) وجهه ٢٤١  
 (د) قيامه بالليل ٢٤٢ (هـ) جوده ٢٤٢  
 ١٠ - على في كبيرة:  
 (أ) مقتل عثمان . ٢٤٢  
 (ب) اختلاف المسلمين في الخلافة . ٢٤٣  
 (ج) الطائفة التي هي على الحيدة ومن بايعه ٢٤٤  
 (د) أهل الجمل . ٢٤٤  
 (هـ) أهل الشام . ٢٤٤

٢ - وكذلك نجد عبد المطلب مثل حافظ لا يرصد كل الشمائل أو الاحداث التي شغلت مسيرة حياة الامام على وإنما يعتمد على مبدأ «الانتفاء» فهو يختار من الواقع والاحاديث ما يراه أنساب وأدل من غيره على شخصية الامام .

٣ - وكلها يلتزم الواقع التاريخي - بصرف النظر عن نوثيقه - دون تزييد ، ودون تحليق بالخيال ليجعل الواقع التاريخية أدخل في آفاق الفن منها في الواقع المسجل .

٤ - وكلها لم يتعقب «نفسية الشخصية» وأبعادها الجوانية لأن كلاً منها كان مبهوراً بواقع التاريخ فشغله عن سير الأغوار والوصول إلى الاعماق ، والقطات النفسية التي

عرضها حافظ لعمر شء آخر غير هذا التحليل النفسي الذى يعيش أعمق الشخصية ويخرج دفائنا ويجسد خواطراها ، إنما هى وقائع ساقها حافظ فى مقام التدليل على السمة النفسية أو الروحية ، والعنوين الجزئية التى ساقها حافظ تدل بذاتها على هذه الوجهة ( مثال من زهده ٩٢ ) - ( مثال من رحمته ٩٢ ) - ( مثال من تقشهه وورعه ٩٣ ) - ( مثال من هيته ٩٤ )

وفات حافظ أفقان نفسيان كان من المكن - لو أتوى العدة والوسيلة أن يحلق فيما ما شاء فيأتى بالعجب العجاب وهما : اسلام عمر وقدرة الاسلام على استغلال طاقات النفس والعقل لصالح الانسانية (٦٨) . أما الايق الثاني فهو عام الرمادة سنة ١٨ فقد كان عمر مثلا أعلى لا في القدوة العملية والصبر والرحمة وشفاقه على الرعية فحسب ولكن في العبرية الادارية « التي استطاعت أن تتغلب على نكبة من نكبات الطبيعة كادت تودى بأمة محمد الى الهلاك » (٦٩) .

وقد يتظاهر عبد المطلب بأنه اهتم خاصا بالصورة النفسية الروحية للامام على ولكننا ننفاجأ بأنه لم يتمتعها التعمق المنشود وان اتخذ هذه العنوانين الجزئية : قلبه - وجهه - وجوده - قيامه بالليل - وفيه يقول :

---

(٦٨) اكتفى حافظ بتناول اسلام عمر تناولا تاريخيا في أحد عشر بيتا من ديوانه ص ٧٩

(٦٩) انظر كيفية مجابهة عمر لتلك النكبة : عمر وعبرية عمر للعقاد من ص ١٥٨ الى ص ١٥٩ . ابن الخطاب لعلى وناجي الطنطاوى من ص ١٧٦ الى ص ١٩٠

وكم أجرى على المحراب دمعا  
 لخوف الله ينسجم انسجاما  
 اذا ما قام في المحراب قامت  
 له زمر الملائكة احتشاما  
 صلاة اللبل يجعلها سحورا  
 اذا ما في الغداة نوى الصياما  
 ثرى صبر القنوح له غذاء  
 جرى دمع الخشوع له اداما  
 رأينا في الكهولة منه شيخا  
 حوى المجد اشتتملا واعتماما  
 فما للدهر لم يعرف حقوقا  
 له شيخا ولم ينكر ظلاما (٧٠)

فنحن هنا أمام مؤرخ « يرصد خبرا » وينقل مشهد  
 محسوسا خلاصته أن عليا كرم الله وجهه كان يخشى الله ويمثل  
 في محرابه باكبا من خشيته وكان صبورا قنوعا له في كهولته  
 سمات الشيوخ ، ولن نقف عند قيام الملائكة له زمرا احتشاما  
 ولا عند قوله هو المجد اشتتملا واعتماما فكل ذلك تكفل

---

(٧٠) ديوان عبد المطلب ٢٤٢ . والشاعر متاثر هنا  
 بوصف ضرار بن حمزة الصدافي لعلى في حضرة معاوية وفيه  
 يقول « ... وأشهد لقد رأيته في بعض موافقه ، وقد أرخي  
 النيل سدولة ، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على  
 لحيته يتململ تملمن السليم ويبيكي بكاء الحزين ، ويقول :  
 يا دنيا غري غيري الى تعرضت ؟ أم الى تشوقت ؟ هيئات  
 هيئات قد باینتك ثلاثة لا رجعة فيها ... » انظر جمهرة  
 خطب العرب ج ٢ / ٢٧٤

وتعنت من أجل جلب القافية . . . وأقول لن نقف عند ذلك ولكن أحيل القارئ إلى مقاله ضرار بن حمزة الصدافي في على لترى أن هذا «النثر» فيه من «الشاعرية» ودقة الوصف وتعمق النفس أكثر مما في أبيات عبد المطلب الذى « لم يشا أو قل لم يستطيع أن يحل ويسبّر غور النفوس » (٧١) .

● ● ●

ويبقى بين الشاعرين فروق واضحة لا يخطئها النظر فمن ناحية الكم نجد عبد المطلب أطول نفساً من حافظ ، فالعلوية تزيد على العمرية بمائة وعشرين بيتاً . وفي داخل المطولة نفسها يستغرق ماتحت العنوان الجزئي الواحد أحياناً عشرات من الأبيات تصلح أن تكون قصيدة طويلة مفردة مستقلة كحديثه تحت عنوان « أهل الشام » وقد استغرق قرابة سبعين بيتاً تحدث فيها عن موقف أهل الشام من على ، وعن قصة التحكيم الشهيرة والتي أنتهت بمصرع على كرم الله وجهه . ولا كذلك حافظ فأطول المشاهد في عمريته تحت عنوان ( عمر وخالد بن الوليد ) وهو يستغرق تسعه وعشرين بيتاً (٧٢) .

● ● ●

فارق آخر في الاستهلال : فحافظ يستهل قصيده بالدعاء إلى الله أن يرزقه البيان الرائع والمعانى السريعة حتى يستطيع أن يفى بحق عمر في الحديث عنه .

اما استهلال عبد المطلب فاستهلال غريب حقاً فقد تحدث عن تطلع الإنسان إلى الفضاء وكيف « شد مغيراً بالطائرة

---

(٧١) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ٣٥٥/٢

(٧٢) ديوان حافظ ٨٤ - ٨٧

على كواكب السماء ويصف الطائرة التي انطلق بها الانسان  
انطلاق الطيف « يشق الجو يقطعه لاما »

اذا ما هزمت في الجو خلنا

جبال النجم تهدم انهاما  
وان زجر الرياح حرث رخاء  
وولث حيث يأمرها الزماما  
يسف على الثرى طورا وطورا  
تراه على الذرى شق الغماما  
أجدك ما النياق وما سراها  
تخوض بها المهامه والاكمام  
وما قطر البخار اذا استقلت  
بها النيران تضطرم اضطراما (٧٣)

ثم يخلص من كل ذلك الى قوله :  
فهب لى ذات أجنحه لعلى  
بها ألقى على السحب الاماما  
أمام بنى الهدى وهو ابن تسع  
وأول مسلم صلى وصاما (٧٤)

وبصرف النظر عما في هذا الوصف من سذاجة وسطحية  
وعما في « جبال النجم » من غرابة وعن الاخفاق الواضح في  
الموازنـة بين النونـق والقطـار من ناحـية والطـائـرة من ناحـية أخـرى  
 أقل دعـك من ذـا، أولـئـك ولكن أنـظـرـ إلى الـافـتـعالـ الواـضـحـ والتـكـافـلـ  
غـيرـ المـسـتـسـاغـ فـليـسـ ثـمـةـ دـاعـيـةـ نـفـسـيـةـ أوـ فـنـيـةـ

(٧٣) ديوان عبد المطلب . ٢٣٠

(٧٤) السابق نفس الصفحة .

لها قيمة تشد الشاعر إلى وصف الطائرة والحرص على الانطلاق بها « ليلقى على السحب الاماما » ... فوسيلة اللقاء بالأمام يستوى أن تكون طائرة أو ناقه أو حصانا ... وربما كانت الوسيطان الاخيرتان أدخل في باب التناقض الفنى مع شخصية تاريخية كشخصية الامام على ومن عجب أن عبد المطلب كان يعتز بهذا الاستهلال في وصف الطائرة ويعتقد أنه بذلك قد انخرط في سلك المجددين (٧٥) . يقول العقاد عبد المطلب بعد أن سمع العلوية : اننى أعجب بقوة الامر في العبارة ولكنى أراك الان فى صميم التقليد وأنت تحسب أنك نجوت منه بطيراة ، فلولا أن العرب وصفوا الناقة التى يبلغون بها المدوح لما وصفت الطيراة التى تبلغ الامام ، ولو لا التخلص والاستطراد هناك لما كان التخلص والاستطراد هنا ، وموطن الخطأ انكم تحسبون الشاعر (العربي) يصف الناقة لأنها « أداة مواصلات » فتحسبون وصف « أداة المواصلات » في عصرنا فرضا على الشاعر الحديث ، وليس الامر على هذا الحساب .

والواقع أن الشاعر العربي انما يصف الناقة لأنها جزء من حياته يحس بها الانس في القفار الموحشة ويأكل من لبنها ولحمها وينسج ثيابه ومس肯ه من وبرها ... فهو شاعر حق الشاعرية حين يصف الناقة لأنه انما يصف في الحقيقة جزءا من الحياة وجزءا من الشعور وجزءا من الانسان وهو أشعر ألف مرة من يحكى بهوصف الطيرارة في العصر الحديث لأنها أحدث أدوات المواصلات ..

(٧٥) انظر العقاد : شعرا مصر وبنيائهم في الجيش الماضى ٤٩ .

فالذين ينادون بوصف الطيارة وماجرى مجريها كما كان  
عرب الباية يصفون النوق والافراس هم قوم لا يدرؤن لماذا  
يصفون وينظرون ، وهم محاكون أقدم من الشاعر الجاهلى  
وأبعد من الشاعر العصرى عن واصف الناقة في البداء لأن  
الشرط الاول في الشعر الحديث أن يصف الانسان ما يحس  
الانسان ويعنى لا أن يصف الاشياء مجازة للأقدمين عكساً أو  
طرداً في أنواع المجازة (٧٦) .

فإذا أضفنا إلى ماذكره العقاد طبيعة الأسلوب التقليدي  
القديم الذي وصف به الشاعر الطائرة زاد إيماناً بأنه زاد  
التصاقاً بالتقليدية والقديم حتى لو كان الموضوع « مخترعاً  
حديثاً » زيادة على ما أشرنا إليه من انعدام الداعية النفسية  
أو الفنية في وصفه الطائرة وتوظيفها لقاء الإمام .

وبالعكس جاء استهلال حافظ طبيعياً عفويَا لا افتعال  
فيه ولا تكلف . فدعاء الله أن يمنه القدرة على النهوض  
بأعباء « العمريّة » مقام مطلوب ومحمود واعتراف بعزمته  
الشخصية التي يتناولها ويتسق مع الطبيعة النفسية والروحية  
لعمّر نفسه وفده كان الخشوع والتقوى والدعاء والاتجاه إلى  
الله بقلبه وجوارحه أن يمنه القدرة على القيام بمهام الأمة  
وأعباء الحكم من أهم سماته ومسالكه .



وفارق ثالث هو أن عبد المطلب كان أكثر التزاماً  
بالترتيب التاريخي من حافظ وذلك في جدود ما انتقى من

أحداث ووقائع ، فلم يحد عبد المطلب عن خط التاريخ قليلاً أو كثيراً ابتداء من طفولته على واسلمه وانتهاء باشهاده . ومن ثم كان الصدق بالواقع التاريخي من حافظ وذلك من وجهين الوجه الأول هو الترتيب والوجه الثاني هو التفصيل الذي يورده عبد المطلب بأمانة تقرب الشعر من النظم أو النثر.

اما حافظ فقد رأينا انه قد تحرر قليلاً من امر هذا الترتيب فبدأ مطولةه باشهاد عمر رضي الله عنه . كما أورد قصة عزل خالد بعد موقف عمر مع جبلة بن الايم وموقف لعمر مع أبي سفيان مع أن عزل خالد تم قبل هذين الموقوفين على اليقين . لأن الثابت تاريخياً أن عزل خالد كان بول عمل قام به عمر حال توليه الخلافة . وان كان ثمة ضرورة فتية لبدء العمريه بمقتل عمر . فالاخلال بالتترتيب التاريخي في هذه الواقائع الثلاث ليس له ما يبرره ، وربما كان مصدر ذلك جهل حافظ نفسه بهذا الترتيب .

● ● ●

وفاروق رابع بينهما وهو أن علوية عبد المطلب كانت أكثر احاطة بشخصية على بجوانبها المختلفة وخاصة فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي الذي يتمثل في مجموعة العلائق التي نشأت بين الامام وغيره في الحرب والسلم ، فعلى رقعة مكانية واسعة ومساحة زمانية شاسعة كانت تحركات على وموافقه ابتداء بمكة وانتهاء بالكوفة ومروراً بأحد والخندق وخبير والجمل وصفين .. الخ وابتداء بالصبا والاسلام ... وانتهاء باشهاده على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم . وبصورة تشعرك ان عبد المطلب مؤرخ أكثر منه شاعراً بعد أن استسلم لامر التاريخ على حساب العناصر الفنية الأخرى .

أما حافظ فقد أغفل كثيراً جداً من الأحداث المتوجهة في حياة عمر مثل عام الرمادة الذي يصلح بذاته أن يكون موضوعاً للحمة رائعة ... كما أغفل الحديث عن مظاهر عبقريته الادارية وعبقريته العسكرية . ولا أعني بذلك أن حافظ كان عليه - خرية لازب - أن يبرز كل أولئك ... فالشاعر غير المؤرخ ، وفي رأيي أن هذا الأغفال - مقصوداً كان أو غير مقصود - لا يعيّب «حافظ» في شيء . إنما ذكرنا ذلك استيفاءً لعناصر الموازنة بين الشاعرين في نطاق مطوليتهما . للخلوص إلى الحكم الذي سقناه من قبل وهو أن عبد المطلب كان أكثر احاطة بجوانب شخصية الإمام على .

ولكن حافظ كان أح Prism من أصحابه على أن يبرز من شخصية عمر وشمائله ما يعوضه عن معانٍ وقيمٍ كان يشعر في أعماقه أنها غائبة في حياته أو بتعبير أدق كان هناك من غيبها عن حياته وأهمها العدل والانصاف والرحمة ونصرة المستضعفين واعطاء كل ذي حق حقه .... الخ .

وبتعبير آخر وجه عبد المطلب همة الأكبر إلى الواقع والأحداث بينما وجّه حافظ عنایته الكبرى إلى الصفات والشمائل وإن التقى كما ذكرنا على التوقف عند السطوح الظاهرة بعيداً عن الأعمق والأغوار فالشاعران كلاهما لا يمكن العدة التي تمكّنها من تعمق النفوس وسبر أغوارها .

● ● ●

وفارق خامس هو أن حافظ قد أبرز في وضوح هدفه من العمرية وهو هدف تربوي قومي يتلخص في أنه قدم المناقب العمرية للشعبية الإسلامية :

حتى ترى بعض ما شاعت أوائلها  
من الصرح وما عاناه بانيها  
وحسبها أن ترى ما كان من عمر  
حتى يتبه منها عين غافلها (٧٧)

أما علوية عبد المطلب فلم يعرض صاحبها فيها المغزى أو  
الهدف الذي توخاه من انشائها .

● ● ●

وأخيراً هناك فارق مهم بين العمرية والعلوية في الاسلوب  
... فأسلوب حافظ في العمرية أسلوب مشرق سلس متدقق فيه  
جرس آسر وبراعة في الاختيار وسهولة في المعنى وقافية مروضة  
لاتعنت فيها (٧٨) .

بعكس عبد المطلب الذي تحس في أسلوبه جهامة ووعورة  
وغراماً بالجزالة والغرابة حتى أصبحت العلوية معرضًا واسع  
الارجاء للغريب الحوشى بحيث لا يستطيع القارئ المثقف أن  
يتوغل فيها دون الاستعانة بمعجم لغوى . وقد قهرته القافية  
الواحدة في مضولة أرببت على الثلاثمائة بيت على الاغراق في  
التعسف والتعمق والتنقيب في احشاء المعاجم لارضاء هذه القافية  
على حساب الفن . ولاحتزى بمثال واحد وهو ما جاء تحت  
عنوان زعامته في المواطن (٧٩) .

---

٩٧) ديوان حافظ (٧٧)

(٧٨) أنظر أحمد حسن الزيات : في أصول الأدب ١٨٢ .

(٧٩) ديوان عبد المطلب ٢٤٠ .

فدع عنك المواطن والمغازي  
 ومن سل الظبا فيها وشاما  
 فجبه للطغاه بها وجوها  
 وجدع للضلال بها حثاما  
 ومن أجرى عياق الخيل قبا  
 فأوطاها المتابع والثثاما  
 يخوض بها المواطن معلمات  
 ونصر الله كان لها علاما  
 فما وجدت لحيدرة اماما  
 غداة الروع بقدمها اداما (٨٠)

فنحن أمام شاعر ينحدر من صخر ، ويصرف في التكلف  
 جريا وراء الغريب والمهجور ، فالشعر عنده – كما يقول العقاد  
 مسألة لغة وفصاحة لغوية بل مسألة لغة بدوية عربية لاتتم على  
 أكمليها وأرقاها الا في أسلوب كأسلوب الشعراء الجاهلين  
 والمختزمين وأغراض كالاغراض التي نظم فيها أولئك  
 الشعراء (٨١) .

(٨٠) شام السيف : أغمده وهو من الفاظ الاضداد .

(٨١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ٤٧ .

جبه . ضرب الجبهة جدع : قطع . الحثام : جمع حثمة  
 وهى الاكمة . الادام : قدرة القوم الذى به يعرفون . حيدرة:  
 هو الامام على كرم الله وجهه .

الفصل الثالث

# المناسك

## المناسبات الاسلامية

كان حافظ - كما يقول عنه خليل مطران - أشبه بالوعاء يتلقى الوحى من شعور الامة واحساتها ومؤتراتها في نفسه فيمتزج ذلك كله بشعوره واحساسه ، فيأتى منه القول المؤثر المتذلف بالشعور الذى يحس كل مواطن أنه صدى لما في نفسه (١) .

ومن ثم كثر في شعر حافظ ما اصطلاح على تسمينه بـ «شعر المناسبات» من مدح وتهان ووصف ورثاء وهو شعر يعتمد في أغلبه على وقائع وأحداث معينة . وقد يتوجل بعض النقاد فيعمم الحكم على شعر المناسبات ويضعه في المرتبة الثانية من الشعر ، ويصفه بالتكلف والافتعال بدعوى أن المناسبة أو الواقعة السياسية أو الاجتماعية هي التي «حملت» الشاعر على نظم قصيده . وقصور هذا الحكم يرجع إلى أنه يحكم على الشعر بعنصر خارج عنه بينما المفروض «أن يتعامل» الناقد من الشعر ذاته بصرف النظر عن نوع داعيته ومثيراته .

وقد ترتبط هذه القضية على نحو من الانحاء بقضية أخرى وهي، فضبة «الموضوع» والتي يمكن طرحها في السؤال التالي : هل هناك موضوعات شعرية وموضوعات غير شعرية ؟ وهي قضية أصبحت مستهلكة لا تستحق التوقف فالشاعر لا يستمد

---

(١) الطباخى : مطران كما عرفته مقال منشور في مهرجان خليل مطران ، ١١٣ وأنظر كذلك « ذكرى الشاعرين » ص ٦٨٤ جمع وترتيب أحمد عبيد .

جلاله وعظمته من طبيعة الموضوع ولكن من عبقرية المعالجة وبراعة التناول والصدق الفنى ومعايشة الموضوع ... وفي ضوء هذا العيار نجد أن شعر المناسبات لا يختلف عن غيره من الشعر عند الحكم عليه، بغض النظر عن المناسبة الداعية والموضوع المتناول .

فإذا ما حصرنا النظر في شعر المناسبات عند حافظ وجدهان نوعين :

نوعا يغلب عليه التقليد والتهويل والتصرع والارتجال وكثير من هذا اللون كان في مطالع حياته الادبية مثل كثير من قصائده في المدح .

ونوعا كان ينظمه بداعية نفسية قوية وشعور قيastic وايمان صادق كثير من قصائده في الرثاء وخصوصا رثاء الشخصيات التي كان يؤمن بها وبعظمتها وتفوقها في حياتها مثل محمد عبد ومصطفى كامل .

ومن أهم شعر المناسبات في حياته قصائد نظمها في المناسبات الاسلامية وبالنظر الى مكان المناسبة وأهميتها في القصيدة يمكننا تقسيم هذه القصائد الى نوعين :

الاول : قصائد تأتى المناسبة فيها في المرتبة الثانية بعد الغرض الاصلى من القصيدة كما نجد في قصائد التهانى والمداائح بحلول مناسبة دينية او لها ارتباط بالدين مثل قصيدة « تهنئة عبد الحليم عاصم ياشا باسنا اماراة الصج اليه » (٢) وقصيدة

---

(٢) الديوان ٣١

« تهنئة محمد عبده بمنصب الافتاء »<sup>(٣)</sup> وقصيدة « تهنئة الخديوي عباس الثانى بعيد الاضحى سنة ١٣٢١ - ١٩٠٤ »<sup>(٤)</sup> وقصيده التى يهنىء فيها بالعام الهجرى<sup>(٥)</sup> وقصيده التى يهنىء فيها بقدومه من الحج<sup>(٦)</sup> ففى هذه القصائد يكون الهدف الاصلى للشاعر هو المدح أو التهنئة ثم يكون الحديث بعد ذلك عن جلال المناسبة ومظاهر العظمة فيها كما سرى بعد قليل

اما النوع الثانى : فهو الذى تكون فيه المناسبة مقصودة لذاتها مثل قصيدة تحية العام الهجرى « ١٣٢٧ هـ - يناير ١٩٠٩ م »<sup>(٧)</sup> وقصيدة تحية العام الهجرى « ١٣٢٨ هـ - يناير ١٩١٠ م »<sup>(٨)</sup> .

وفي اللون الاول من هذا الشعر لا نذكر المناسبة الدينية الا على سبيل الالاح فلا تزال حظها الوافى من التفصيل كما نرى في قصيدة تهنئة عاصم باشا بامارة الحج فهو خير من أمر للحج ، وهو مشتاق الى البيت الحرام والبيت الحرام فرح بقدومه .

وقد يكون الاشارة الى المناسبة الدينية على سبيل الالاح بالبيت والبيتين فقط كما نرى في قصيده حافظ في تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الاضحى سنة ١٣٢١ وتهنئة مسورة

(٣) الديوان ٤/١ .

(٤) الديوان ٢٨/١ .

(٥) الديوان ٢٨/١ .

(٦) الديوان ٥٠/١ .

(٧) ديوان حافظ ٣٧/٢ .

(٨) الديوان ٥٨/٢ .

بالعام الهجرى سنة ١٣٢٢ فهما قصيدتان محضرهما حافظ للمدح  
الخلص وتصلحان أن تنشدا في أى مناسبة . ففى القصيدة  
الأولى - وقد جاءت فى ثلاثة بيتا - لم يذكر حافظ العيد  
الا فى بيت واحد وهو :

يا عيد ليت الذى أولاك نعمته  
بقرب صاحب مصر كان أولانى (٩)

وفي القصيدة الثانية وهى تقترب من السابقة فى الطول لم  
يذكر حافظ العام الجديد الا فى بيت واحد استجدائى  
كسابقه وهو :

عسى ذلك العام الجديد يسرنى  
ببشرى وهل للبائسين بشير (١٠)

● ● ●

أما قصيدة الطويلة التى يهنىء فيها الخديو عباس الثانى  
بعودته من الحج ففيها ملامح جديدة تجعل منها تطورا جديدا  
اذا ما نظر الى قصائده السابقة وأهم هذه الملامح :

ان المناسبة تأخذ فى القصيدة مكانها المناسب وحظها الاوقي  
حتى ان حافظ يكاد يستوفى القصيدة كل مشاعر الحج من  
الوقوف بعرفة الى رمى الجمار الى السعى بين الصفا والمروة .

كما أن القصيدة التى جاءت من أولها الى آخرها خطابا  
مباشرا الى عباس - عرض فيها حافظ مشاعر الحج والعباس

---

(٩) الديوان ٢٨/١

(١٠) الديوان ٣٢/١

يؤديها ولكنه لا يعرض ذلك عرضاً تقريريَا توصيفياً ، بل ربط كل «أداء» لمنشور من المشاعر بخصيصة نفسية للمدوح تأخذ نفس اللون وان أخذت اتجاهها مختلفاً كما نجد في مثل قوله :

رميت فسددت الجمار فلم تكن  
جماراً على ابلبس بل كان أسهماً  
وان الذي ترميه وقف على الردى  
وان لاذ بالفالك يا خير من رمى

فنحن هنا أمام شعيرة أداتها الخديوي وهي رمي الجمار  
ويستلهم حافظ سمة نفسية من سمات الخديوي وهي قوته  
وقدرتة على التنكيل بأعدائه فلا مهرب لهم من ضرباته المصممة  
و «رمياته» المهلكة . ومثل ذلك نجده في مثل قوله :

وبين الصفا والمروءة ازدلت عزة  
بسعيك يا عباس لله مسلماً  
تهرون ننمولي الكريم معظمماً  
وكم هرون الساعى اليك وعظماً  
وطفت وفدت طافت بسرتك المني  
وكم أمسك الراجح بها وتحرماً

● ● ●

ولحافظ قصيدتان مستقلتان في مناسبة العام الهجري  
نظمهما في عاصم ممتاليين الأولى سنة ١٣٢٧ هـ - يناير ١٩٠٩  
والثانية سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م

والقصيدتان تدوران في فلك واحد ويتناولان معانى وأفكار  
متتشابهة وتنهجان نهجاً فنياً واحداً كما سنرى . وتقرب

كثير من الابيات في المعنى بصورة ترتفع أحياناً إلى حد التمايل . كما نرى في ختام القصيدتين فيتوجّه في القصيدة الأولى إلى الشباب بقوله :

ثقوا بالايد القائم اليوم انه  
بكم وبما ترجون ادرى وأخير  
فلا زال محروس الاريكة جالسا  
على عرش (وادي النيل) ينهى ويأمر (١١)  
ويختم القصيدة الثانية بقوله :  
وتفيتوا ظل الاريكة واقصدوا  
ملكاً يامته ابر وارفقا  
لا زال تاج الملك فوق جبينه  
تحت الهلال يزين ذاك المفرقا

والغريب أن حافظ لم يعرض في القصيدتين وهو من أطول قصائده لحدث الهجرة الذي يعد من أعظم وأخطر أحداث التاريخ الانساني اذا استثنينا أربعة أبيات عبارة عن هجرة الرسول عليه اسلام لأنها خلت من ثلقة الانسانية والتعمق الفكري والاستحضار الحى لهذا الحدث العظيم . إنما يستهل حافظ كلتا القصيدتين على سواء بمناجاة الهلال أو الحديث عنه .. ثم يعرض الشاعر أهم الاحداث التي وقعت خلال العام وهزت بلاد المشرق في تركيا وببلاد فارس ومراکش وجاءه والافغان وغيرها ثم يتوجه نحو الشباب فيسمى اليه النصائح والتوجيهات التي تكفل له النجاح والتقدم وتضمن للوطن السعادة والسيادة - ويكون الختام في القصيدتين كما ذكرنا دعوتهم إلى الولاء والالتفاف حول الحاكم .

---

(١١) الديوان ٤٢/٢

ويعيّب القصيدين أن حافظ - كما المحت - أغفل باستثناء الآيات القليلة الضحلة التي أشرنا إليها - الحديث عن الهجرة وما فيها من دروس وعظات وقيم لو تعمقها لاتى بالرائع المعجز . والأسر الخلاب .

على أن عرضه للواقع التاريخية تم بطريقة تقريرية تسجيلية تذكرنا بالشعر أو بالنظام التعليمي ، فهو يسوق الحديث بأسلوب دارج من ناحية ولا يحاول أن « يعيشه » ليتعصر منه دلالاته النفسية والاجتماعية والسياسية .

ولاجتنزء ببعض الآيات من القصيدة الأولى :

- وفيه هو عبد العزيز وعرشه  
وأخنى عليه الدهر والامر مدبر  
فالقى الى (عبد الحفيظ) بتاجه

ومر على أدراجه يتغثر

- وفي دولة الأفغان كانت شهوره  
وأيامه بالسعادة واليمن تزهسر

- وفيه بدت في أفق (جاوة) الملة  
اضاءت لاهليها المسيل فبكروا(١٢)

وفي القصيدة الثانية يقول :

- وتغيرت فيه الخطوب بفارس

حتى رأيت الشاه يخشى البیدقا

وأدار من عبد الحميد لشعبه

فهو وحاول أن يعود فاخفا

- فتقيدت فيه الصحافة عنوة  
ومشى الهوى بين الرعية مطلقاً (١٣)

والشعر كما هو معروف ليس سجلاً تاريخياً يحصى ويعدد ولكن نبضات شعورية ومعايشة حية لواقع والأحداث بحيث يمنحها الشاعر أبعاداً وأصباغاً من نفسه فكأننا لا نقرأ عن حدث وقع وانتهى ، ولكننا - لما في شعر الشاعر من ابداع - نعيش لا واقعاً حسياً بل واقعاً نفسياً يتجدد يوماً ولا يعرف الانتهاء والذبول .

وحافظ دائماً يحرض في شعره على توجيه النصائح والتوجيهات على اختلاف الوانها وأنواعها . وفي هاتين القصيدين نجده يسدى عشرات من التوجيهات إلى الشباب . ففى القصيدة الأولى يعبر عنهم بأنهم « رجال الغد المأمول » وفي القصيدة الثانية يعبر عنهم « بناته البلاد » « ففى الأولى يعرض عليهم حاجات الأمة إلى القادة والعلماء والحكماء الذين ينهضون بها ، ويدعوهم إلى اعداد أنفسهم لسد هذا النقص .

رجال الغد المأمول أنا بحاجة  
إلى قادة تبني وشعب يعمـر  
رجال الغد المأمول أنا بحاجة  
إلى عالم يدعـو وداع يذكر  
رجال الغد المأمول أنا بحاجة  
إلى حكمة تملـى وـكـف تحرـر

---

• (١٣) الديوان ٥٩/٢

رجال الغد المأمول انا بحاجة  
اليكم فسدوا النقص فينا وشمروا (١٤)

وفي الثانية يدعو « نابتة البلاد » الى تجنب اليأس  
والتعلق بالامل ولتحصيل المجد المؤسس على العلم فالعلم هو  
منطلق السعادة والحياة الكريمة فيقول :

اهلا بنابة البلاد ومرحبا  
جدمتم العهد الذى قد أخلفا  
لا تيأسوا أن تستردوا مجدهم  
فلرب مغلوب هو ثم ارتقى  
مدت له الامال من أفالكمها  
خيط الرجاء الى العلا فتسقا  
فتحشموا لمجد كل عظيمة  
انى رأيت المجد صعب المرتقى  
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا  
لم يبق بابا للسعادة مفاصلا  
ثم استمدوا منه كل قواكم  
ان القوى بكل ارض يتقى (١٥)

ولن نقف عند ما في كثير من هذه الابيات من تقريرية  
ومباشرية في التوجيه يفقدها كثيرا من الرواء والجمال  
الشعري . ولكن يهمنا أن نقرر أن « حافظ » لم يقدم ولو على  
سبيل الالماع من النماذج الاسلامية العليا من حياة الرسول -  
عليه السلام - وصحابته وهو في مقام الحديث عن العام الهجرى

---

(١٤) الديوان ٢١/٢ .

(١٥) السابق ٦١/٢ .

المنسوب الى هجرة النبي - عليه السلام - ما يشد انتظار الشباب  
ويوجهها الى هذه القمم وتلك القيم .. انما هي توجيهات  
قومية عامة يعززها ابراز الصلة بينها وبين هذه المناسبة  
الدينية الجليلة .

ويبقى لهذه القصائد دلالقان موضوعيتان اجتماعيتان  
تبني لهما الدكتور زكي مبارك وهما أنها تمثل اتجاهات الرأي  
العام المصرى في الوقت الذى قيلت فيه وتدلنا كذلك على أن  
المصريون كانوا يسايرون الحوادث في الاقطار العربية والاسلامية  
فهم يعرفون أشياء من أحوال الترك وأشياء من أحوال الفرس  
وأشياء من أحوال الأفغان وغيرهم أخبار عن الجزائر ومرakens  
وجاوه والمهد ويتأثرون بما يقع في تلك الاقطار من حوادث  
وخطوب(١٦) .



وقد حفلت الشوقيات بعده من القصائد في المناسبات  
الاسلامية مثل الهزيمة التبوية(١٧) وذكرى المولد النبوى  
الشريف(١٨) والى عرفات الله(١٩) خلافة الاسلام ( القاء  
الخلافة)(٢٠) ونهر البردة(٢١) ومرحبا بالهلال(٢٢) .

(١٦) ذكرى مبارك : حافظ ابراهيم ٧٨ .

(١٧) الشوقيات ٣٤/١ .

(١٨) السابق ٦٨ .

(١٩) السابق ٩٨ .

(٢٠) السابق ١٠٥ .

(٢١) السابق ١٩٠ .

(٢٢) السابق ١٨٥ .

والقصيدة الاخيرة قالها شوقي في رأس السنة الهجرية ١٣٢٩ وحتى نستطيع أن نتبين الفرق بين الشاعرين منهجاً وفنياً نقف أمام أقرب قصائد حافظ تارخياً من هذه القصيدة وهي «تحية العام الهجري» (٢٢) التي نظمها حافظ في رأس السنة الهجرية ١٣٢٨ :

### من الملامح المشتركة بين الشاعرين :

١ - أن كلاً منهما استهل قصيده بمناجاة الهلال والثناء عليه وإن كان حافظ قد ناجاه متحدثاً إليه ، أما شوقي فقد كانت مناجاته حديثاً عنه لا حديثاً إليه أى أنه تكلم عنه بضمير الغائب .

٢ - أن كلاً منهما نظر إلى الهلال نظرة الأمل أن يكون العام عام سعد وبركة . فحافظ يقول :

لَى فِيكَ حِينَ بَدَا سَنَاكَ وَأَشْرَقَ  
أَمْلَ سَالَتِ اللَّهَ أَنْ يَتَحَقَّقَ  
أَشْرَقَ عَلَيْنَا بِالسَّعُودِ وَلَا تَكُنَّ  
كَأْخِيكَ مُشَوْئِ المَنَازِلِ أَخْرَقاً (٢٤)  
كما يتحدث شوقي عن الهلال قائلاً :  
مَلِكُ الْمَمَاءِ فَكَانَ فِي كَرْسِيهِ  
بَيْنَ الْمَلَائِكَ وَالْمَلُوكِ مُثَلًا  
تَنَافَسَ الْأَمَالَ فِيهِ كَانَهُ  
تَغْرِيَةً لِلْعِنَاءِ ضَاحِكَ الْأَمَالَا (٢٥)

(٢٢) ديوان حافظ ٥٨/٢ .

(٢٤) ديوان حافظ ٥٨/٢ .

(٢٥) الشوقيات ١٩٨٦/١ .

ثم يخلص كلامها إلى الغرض الأساسي من القصيدة . ذلك  
والطبع بهذه الصورة يذكرنا بمطلع القصيدة العربية القديمة  
حين تستهل بالتنسيب .

ولكن بين أشعارين فروقاً واضحة في القصيدتين لا يخطئهما  
النظر ومن أهم هذه الفروق :

١ - ان مطلع القصيدة عند حافظ . وان بدأ مشرقاً أملا  
في البيتين الاميين . وقد غابت عليه في الابيات التالية صيغة  
الحزن والأس .. فهو يعرض لهلال العام الماضي .. ويصفه  
بأنه كان شوئماً وأنه خص مصر بنحسه ، وأسرف في النحوس  
وأغرقها ومن ثم يدعو حافظ الهلال الجديد ألا يكون كالهلال  
القديم نحساً وشوماً .

أما مطلع شوقى فيتدفق بالتفاؤل والاستئثار من أوله  
إلى آخره فالهلال كما يقول شوقى :

تنافس الاممال فيه كأنه  
ثغر العناية ضاحك الاممال  
والشمس تزلف عيدها وتزفه  
بشرى بمطلعه السعيد وفالا  
عيid المسيح وعيid احمد أقبلا  
يتباديان وضاءه وجمالا  
ميلاد احسان وهجره سؤدد  
قد غيرا وجه البسيطة حالا (٢٦)

٢ - كان الماضي في هذه القصيدة أقوى من حافظ فشده  
اليه ، ومن ثم غلبة عليه في النصف الاول من القصيدة شخصية  
المؤرخ الراسد المسجل لا شخصية الفنان المبدع المتفاعل . .  
فالعلم المنصرم قد :

أعطى الاعاجم منه مذكورة  
وأعاد للاتراك ذاك الرونقا  
وتغيرت فيه الخطوب بفارس  
حتى رأت الشاة يخشى البيدقا  
وأدال من عبد الحميد لشعبيه  
وهو فحاول أن يعود فأخفقا (٢٧)

وشعر القارئ وهو يواجه هذا الرصد التسجيلي للأحداث  
التاريخية أنه أمام منظومة تاريخية تعليمية (٢٨) فحافظ لم  
يحاول أن يستخلص ما تعكسه هذه الأحداث من دروس وعبر  
وموعظ ولكن ساقها أحداثاً مجردة خالية من كل أولئك .

اما شوقى فوقعائق التاريخ لا مكان لها في قصيده .. وهو  
غير منجذب الى الماضي انجداب حافظ ، بل هو يعيش الحاضر  
من ناحية ويستشرف آفاق مستقبل على مشرق من نواح أخرى  
حتى أن الاستشراف المستقبلي يستعرق أغلب القصيدة ، وإذا  
التفت الى الماضي فانما يلتفت الى الماضي الاسلامي الوضىء ،  
وهو لا يلتقت اليه لذاته ولكن ليكون منطلقا الى مستقبل  
رشيد منتصر .

---

(٢٧) ديوان حافظ ٥٨/٢

(٢٨) وهو نفس النهج الذي نهجه حافظ بصورة أخرى  
في قصيده تحية العام الهجرى ( سنة ١٣٢٧ ) ديوان  
حافظ ٣٧/٢ .

٣ - ويغلب على قصيدة حافظ الطابع المحلي أو بتعبير آخر الطابع المصري القومي ومن ثم كانت القصيدة محدودة الاماد في هذا النطاق الوطني الخاص . فالهلال هلال العام المنصرم أصاب أرض الكناة بالنماذل السود ، وفيه تقييد الصحافة ، وفيه كانت محاولة مد امتياز شركة قناة السويس ... الخ .

ومع أن الهجرة مناسبة اسلامية عامة لهم البلاد الاسلامية جمیعا الا أن « حافظ » لا يتحدث الا الى شباب مصر « نابتة البلاد » ويدعوهم الى التجمع وتحصيل العلم وبلغ المجد .

اما شوقى فيحقق في آماد اوسع وأبعد فهو لا يقصر حديثه على الشباب ولا على المصريين بل يتوجه بحديثه الى الامم الاسلامية او « أمم الهلال » كما يسميها ويوجه اليها « مقالة من صادق » أن يعيدوا مجد الاباء والاجداد من المسلمين الأوائل الذين كانوا :

كالرسل عزما والملائكة رحمة  
والامد بأسا والغيوث نوالا  
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما  
ذهبوا يمينا في الورى وشمالا (٢٩)

٤ - وفي قصيدة حافظ تأتى توصياته وارشاداته التى وجهها الى الشباب . تأتى صريحة و مباشرة وتکاد تكون عارية من الحكمة والخيال البارع ( لا تيأسوا .. فتجشموا .. فقدفعوا .. فتعلمنوا .. ثم استمدوا وابنوا .. وربوا الكلم .. وامشو .. فتحسنو .. الخ .

ويقول الدكتور عنيمي هلال في كتابه القيم وقضايا معاصرة في الأدب والنقد ص ٦٠٠ أن التعبير المباشر أو القريب من المباشر تتضح فيه الذاتية ، ويضعف به الشعر الغنائي من الناحية الفنية فالتصريح ووضوح الذاتية عدوان من أعداء الفن

وهذه المباشرية ترتبط عند حافظ بالوضوح والصراحة وذلك يعد من عيوب الشعر ، فالشاعر - كما يقول عبد القاهر الجرجاني - إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين كان نيله أحلى ، وبالميزاة الأولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت من أحسن وأضعف ، وكذلك ضرب المثل لكل ما يطف موقعه برد الماء على الظما (٣٠) .

أما شوقى فله شأن آخر انه يغفل قيمه الفكرية بصبغين يأخذان بالفکر والوجدان : الخيال الجميل والحكمة البارعة فهو « يشخص » الهلال . و يجعل منه كائنا حيا ذا نبض ونفس وجلال خالعا عليه من الصفات لا ما يتفق مع طبيعته فحسب ولكن ما تحتاجه الإنسانية لتعيش عيشها الحر الكريم من تواضع وعظمة وود ووفاء . ويربط بين النور المعنوى في صورة رحيبة ممتدة . فيقول :

قم للهلال قيام محتفل به  
أثنى وبالغ في الثناء وغالى  
نور السبيل هدى لكل فضيلة  
يهدى الحكيم لها ومن خلا  
ما بين مسولاته وبين بلوغه  
ملا الحياة ماثرا وفعلا

---

(٣٠) الجرجانى أسرار البلاغة ص ١١٨ .

متواضع ، والله شرف قدره  
 بالشمس ندا والكواكب لا  
 متودد عند الكمال تخاله  
 في راحتيك وعز ذلك منلا  
 واف لجارة بيته يرعى لها  
 عهد السموال عروة وجبالا  
 عون السراة على تصاريف النوى  
 أمنوا عليه وحشة وضلالا (٣١)

ويتلامح التصوير الجميل مع المعانى العلوية والحكم  
 الرفيعة الخلدة كما نرى في قول شوقي :

ويشك فيه فلا يكلف نفسه  
 غير الترفع والوقار نضالا  
 ساعت ظنون الناس حتى أحذثوا  
 للشك في الدور المبين مجالا  
 والظن يأخذ في ضميرك مأخذا  
 حتى يريك المستقيم محلا (٣٢)

وتأتى حكم شوقي تترى في أبيات كاملة واحيانا في  
 شطر البيت الواحد ليؤيد بالحكمة فكرة عرضها أو حكما ساقه  
 على النحو التالي :

أمم الهلال مقالة من صادق  
 والصدق أليق بالرجال مقالا

---

- (٣١) الشوقيات ١٨٦/١ .  
 (٣٢) السابق نفس الصفحة .

متلطف في النصح غير مجادل  
والنصح أضيع ما يكون جدالا

ثم يعرض شوقي للإسلام وقوته الفاعلية على مدار التاريخ فهو «يرفع عاملًا ويسود المقدام والفعال» أما مسلمو اليوم فقد أسعوا إلى الإسلام بعسلهم وتقاعدهم عن المطالب العلا وجلائل الغايات، وأسعوا إلى الإسلام مرة أخرى من حيث لا يشعرون فقد تصور أعداء الإسلام الذين هاجموه أن المسلمين نتكشف فيهم مبادئه وتعاليمه ومن ثم كان الإسلام في نظر من هاجموه مثل رينان وهانونو وهو سر تأخر المسلمين وتحلفهم.

ويعرض شوقي للماضي الإسلامي الزاهي أيام أن كان الإسلام حاضرا بقيمة العليا في النفوس فأقام دولة وبنى أمه ورفع مجدًا ومحًا جهلاً.

وهو يعرض هذه الصورة الزاهية الرفيعة في مقابلة صورة خسيسة لام المفيا والمضل والعمى .. ليعرف المسلمون الفرق الشاسع بين من صنعتهم الإسلام على عينيه بمبادئه الصحيحة وبين من صدوا عن هدى الإسلام وأغلقوا قلوبهم عنه.

وليس ثمة توجيه مباشر لمسلمي اليوم على شكل «أوامر ونواه» فيها صرامة النثر وجفافه ولكن نهجه الفنى برز في عرض «المتناقضين وبصدتها تميز الأشياء وترك الاختيار للمسلمين .. وهو اختيار لا يصعب على من أوتي اثاره من عقل أو لحنة من ضمير».

والموازنه - في هذا النطاق بين الشاعرين - كما يقول الدكتور ماهر حسن فهمى تدلنا على قوة العاطفة القومية عند

حافظ وقوه العاطفة الدينية عند شوقي تلك العاطفة التي تشمل البلاد الاسلامية لها ، ووضوح الناحية الوطنية وتميزها عن الدين عند حافظ وعلى اندماج الاثنين معاً عند شوقي حتى لا نرى وطنه الا من خلال البلاد التي بجمعها الدين الاسلامي، حقيقة أن شوقي بعد أن صهره الحنين الى مصر والى ذكرياته فيها أيام نفيه ، وبعد أن عاش وسط الشعب بعيداً عن القصر بعد عودته من المنفى بدأ يعبر عن ثعور ذلك الشعب ويلتفت الى مصر فيطبل التفاته الا أنه ظل شاعر المسلمين جميعاً لا شاعر مصر وحدها (٣٣) .

---

(٣٣) د. ماهر حسن فهمي : شوقي شعره الاسلامي ٦٣

الفصل الرابع

القضايا والفتيا

## أولاً : القضايا الدينية

عاش المجتمع المصري - ككل المجتمعات معرضاً لكثير من الاحداث والواقع والتيارات المتفاوضة والمتضاربة في مجال الدين والسياسة والاقتصاد والعلوم والوطنية ، ومن البدهى أن يكون لكل عصر من العصور طوابعه الخاصة وروحه العامة وجوانبه الكثيرة المتعددة التي يعبر كل فرد عن جانب منها فلا تستطيع شخصية من الشخصيات مهما عظمت واتسعت أن تعبّر عن روح العصر : فانسياسي مثلاً يعبر عن جانب من آراء العصر السياسية ، وانفليسوف يعبر عن جانب من مشاعر العصر واحساساته (١) ، ريدهب على أدهم إلى أن الشاعر يصح أن يكون معبراً تماماً عن روح العصر ، ولكن هذا لا يكون إلا في الأوساط التي تضُؤ فيها الحياة الأدبية ويشيق الأفق الفكري ويعلل ذلك بأن ضيق الأفكار وانحصارها وبساطتها يمكنه من أن يتناول الحياة من جميع أقطارها ويحيط بشئ جوانبها وأن ينسج لها من خياله شبه شبكة تحويها (٢) .

والواقع أن الشاعر - أي شاعر - مهما بلغ من فحولة وطبع ومهما اتسعت دائرة معارفه وثقافته لا يمكن أن يكون « معبراً تماماً » عن روح العصر ومناحي الحياة بكل جوانبها وطوابعها لأن الشعر ليس رصداً فكريًا تسجيلياً لمشكلات المجتمع وجريات حياته ، وما يموج به من تيارات وأفكار واتجاهات فلسفية ولأن هذا فوق طاقة الشاعر ... أي شاعر كما أن هذا

(١) على أدهم : على هامش الأدب والنقد ١٧٨ .

(٢) السابق نفس الصفحة .

يتعارض مع طبيعة الشعر الذى هو في بساطة الهم وابداع وطبيعة الشاعر المطبوع الذى يعتبر «الحرية الذاتية» أهم سماته فهو لا يخضع الا لما عليه طبعه ومنهجه الحيوى وحتى لو كان ملتزما بالفهم الايديولوجي فهو ليس ملزما بالمفهوم الاجبارى القهار فالالتزام بمفهومه الصحيح ، يعني أن يتخذ الاديب بمحض ارادته واختياره الحر موقفا فكريا وعمليا من قضايا وطنه ومشكلات قومه وأزمات الانسانية جماء (٣) .

والاستقراء التاريخي يؤيد هذه الحقيقة ، فليس في التاريخ الانساني الشاعر الذى احاط شعره بكل اقطار العصر وظهرت في شعره كل بصمات العصر مما ضاقت أفكار هذا المجتمع وانحصرت أو انحسرت ثقافاته . وبعد ذلك يتبيّن لنا المقصود من مقوله شائعة وهي أن الشاعر فلانا كان «مرأة عصره » فلا يفهم منها أنه يتمثل كل شيء ويصور كل شيء ويعكس كل شيء بل يجب أن نفهم من ذلك أنه يعكس ما تقبل طبيعته النفسيه وما تستجيب نفسه - برؤيته الشعرية الخاصة التي تمثله وتمثله .



وحافظ ابراهيم كان بهذا المفهوم مرأة من مرايا عصره ومجتمعه وقد تمثل في شعره طبائعه النفسية وكثير من ملامح المجتمع وقضاياها وقيمة .

وقد قصدت بهذه الصفحات أن نحدد موقفه من القضايا ذات الطابع - الاسلامى ، أو التي لها رشيقه بالاسلام ، كما

---

(٣) د. احمد هيكل دراسات أدبية ص ١٦ .

أردنا أن نحدد بها القيم الإسلامية في شعره ولو على سبيل  
الالاماح .

وقد عرضنا من قبل في مقام حديث عن مكان الخليفة العثماني في شعره موقفه من قضية «الخلافة العثمانية» وهي قضية لها جانبها الديني في المقام الاول ثم جانبها السياسي بعد ذلك . وسنحاول في الصفحات التالية أن نعايش «حافظ» وشعره وموقفه من بعض القضايا الاجتماعية والفلسفية التي لها الصلة بالدين على نحو من الانحاء .

### (١) السفور والحجاب

ولعل من أهم القضايا التي شغلت المجتمع وكان لها صداتها في الشعر قضية «انسفور والحجاب» وقد بدأت المعركة بصدور كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين (٤)، وأغلب ماسجله الكتاب من آراء قاسم أمين يعتبر معتدلا جدا اذا اعتبرنا بمقاييس عصرنا ، ومنها :

١ - ضرورة تعلم المرأة كل ما ينبغي أن يتعلم الرجل من التعليم الابتدائي ، على الأقل (٥) .

(٤) قاسم أمين (١٨٦٥ - ١٩٠٨) تعلم في مصر ودرس الحقوق في فرنسا وعمل بالقضاء وقد أحدث هزاهز شديدة في الأوساط الفكرية والاجتماعية والدينية بكتابية المشهرين «تحرير المرأة» و «المراة الجديدة» انظر الاعلام ١٩٨٤/٥

(٥) انظر تحرير المرأة ص ١٨ .

٢ - السماح للمرأة بالعمل في حالة الضرورة ومن هذه الحالات : وفاة الزوج أو فقره ، أو عدم زواجهها وليس هناك من يعولها (٦) .

٣ - أن يكون حد السفور هو الحجاب الشرعي ، بمعنى أن تظهر المرأة وجهها وكيفها وفي ذلك يقول قاسم أمين ، انى لا أقصد الان رفع الحجاب دفعة واحدة ، والنساء على ماهى عليه اليوم ، فان هذا الانقلاب ربما يتضا عنده مفاسد جمة ، لإيتائى معها الوصول الى الغرض المطلوب ، كما هو الشأن في كل انقلاب ظجائي ، وإنما الذى أميل اليه هو اعداد نفوس البنات في زمن الصبا لهذا التغيير (٧) .

وقوله هذا يعني أن آراءه هذه مرحلية وأنه اذا كان قد دعا الى الحجاب الشرعي فما زال في جعبته ما هو أشد واحد ، وهذا فعل ما أدخله لكتابه الثاني المرأة الجديدة الذي كان متطرفا فيه أشد التطرف ، وفيه يدعوا الى انطلاق المرأة الى كل مجالات العمل مثل التدريس والطب والتجارة والحرف الادبية (٨) . ومن حق المرأة كذلك أن تناول أكبر قدر من التعليم وفي كل المراحل . وأخطر من كل أولئك دعوته الصريحة الى سفور المرأة وتخليها تماما عن الحجاب الشرعي (٩) .

وينطلق من هذه الدعوة الخاصة الى الثورة على كل ما هو سلفي ويدعو صراحة الى النهل من الحضارة «الغربية»

---

(٦) أنظر السابق ٣٤ .

(٧) تحرير المرأة ٩٢٥ .

(٨) أنظر المرأة الجديدة ٤٩ .

(٩) أنظر السابق ١٠٨ .

وتربية أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وثراعها وأثارها » (١٠) لانه من المستحيل أن يتم اصلاح ما في أحوالنا اذا لم يكن مؤسسا على العلوم الحصرية الحديثة (١١) .

وقد أحدثت راؤه - ابتداء من كتابه الاول - ضجة كبيرة في الاوساط الدينية والاجتماعية وذهب الى أن محمد عبده هو الذى أوحى به بالفكرة وآخرون أن وراءها لورد كروم ، واتهمه قوم بالمروق من الدين ، وذهب أحد معارضيه الى بيته وطلب أن يجتمع بزوجة قاسم على انفراد مطبقاً لدعوته (١٢) ش

وقامت معركة عاتية في الصحف بين مؤيد ومعارض كما قام كثير من الكتاب بنقد وينقض آراء قاسم ، فالفلت كتب عديدة منها : « تربية المرأة والحجاب » لمحمد طلعت حرب و « السنة والكتاب في حكم التربية والحجاب » لمحمد ابراهيم القالياتى « والجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس » لـ محمد أحمد حسنين البولاقى ، و « خلاصة الادب » لحسين الرفاعى ، و « نظرات في السفور والحجاب » لمصطفى الغلاينى ، و « قولى في المرأة » لمصطفى صبرى و « رسالة الفتى والفتاة » لعبد الرحمن الحمصى (١٣) .

ومن كتب المؤيدين لرأء قاسم « رسالة في نهضة المرأة

(١٠) المرأة الجديدة ١٨٤ .

(١١) السابق نفس الصفحة .

(١٢) أنظر ماهر حسن فهمى : قاسم أمين ١٣٥ .

(١٣) أنظر السابق ١٤٠ .

المصرية والمرأة العربية » لعبد الفتاح عبادة و « أكليل غار على رأس المرأة » و « النسائيات » لجرجي نقولا باز .

وأنقسم الشعراً كذلك مابين مؤيد ومعارض على مستوى الوطن العربي كله فمن المعارضين الشاعر جواد الشيبى وعبد المحسن الازدى وأحمد محرم والشاعر الشامى أديب النقى ، أما المؤيدون فمنهم معروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى (١٤١) كل ذلك ثار حول آراء قاسم أمين فى كتابه الاول تحرير المرأة الذى صدر سنة ١٨٩٩ وقد تولى الرد على ما أثير حول كتابه وانطلقا أكثر تطرفاً وجراة في كتابه « المرأة الجديدة » الذى صدر سنة ١٩٠٦ .

كانت هذه هي القضية وما أثارته من عجاجات كلامية وهى قضية اجتماعية في المقام الاول بلا شك اذ هي تتعلق بمظهر المرأة في المجتمع المصري وحقها في الكشف عن وجهها واحتلاطها بالناس بعد ازالة هذا « الحجاب » الذي عاشت خلفه على مدى القرون السابقة . أما الوجه الدينى في القضية فيتمثل في الحكم الشرعى مابين تحريم واباحة ، فالذين حرموا يرون أن السفور يصطدم بنصوص دينية أهمها قوله تعالى « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » والذين أباحوه أسلوا بأحاديث نبوية تبيح كشف الوجه والكفيفين ، وبالضرورات الاجتماعية التي قد تتطلب من المرأة الكشف عن وجهها .



---

(١٤) انظر الم سابق ١٤٦ .

فما موقف حافظ من هذه القضية ؟

كعهدنا بحافظ لا نستطيع أن نعثر له على « الرأى الواحد » أو الاراء المتفقة أو المتكاملة في الموضوع ، ولكن منطق الحذر والتردد والتقدم مرة للتأخر مرات وأول رأى لحافظ ابراهيم في مسألة الحجاب والسفور كان في قصيدة يخاطب بها فاسم أمين فيقول :

أقسام أن القوم ماتت قلوبهم  
ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه  
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم  
 فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه  
فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم  
لوضع كتاب لا ستقامت رغائب  
ولو خطرت في مصر حواء أمنا  
يلوح محبها لنا ونراقبه  
وفي يدها العذراء يسفر وجهها  
تصافح منا من ترى وتخاطبه  
وخلفها موسى ويعيسى وأحمد  
وجيش من الاملاك ماجت كواكب  
وقالو لنا ، رفع الحجاب محل  
لقلنا : نعم حق ولكن نجانبه (١٥)

و واضح أن الأبيات تنبع على نوعين من الحجاب حجاب نفس هو حجاب الضلال و حجاب حس وهو حجاب الوجه ويرى

---

(١٥) الديوان القديم ٨١/١ - طبعة ١٩٠٣ نقلًا عن د. عبد الحميد الجندي : حافظ ابراهيم شاعر النيل فالقصيدة غير موجودة في الطبعة التي بين أيدينا .

أن الاول هو اصل الثاني ، وأنه في البيت الثاني يردد قول  
الشاعر القديم :

لقد أسمعت لو ناديت حيا  
ولكن لا حياة لمن تنادي

ومن لوازم « حجاب الضلال هذا » انكار الحق مهما  
كان واضحًا بيننا وفي - الابيات حملة ضاربه لا على الحجاب  
فقط ولكن على التخلف والضلال ومجانية الحق .

● ● ●

وبعد ذلك بعده سنوات كان لحافظ وقفه أهداً بكثير من  
صرحته هذه العاتية نلمس ذلك في قصيده التي رثى بها قاسم  
أمين فيقول مخاطباً آياته (١٦) .

أن ريت رأيا في الحجاب ولم  
تعصم فتلك مراتب الرسل  
الحكم للايام مرجعه  
فيما رأيت فنم ولا تسل  
وكذا طهاء الرأى تتركه  
للدهر ينضجه على مهمل  
فإذا أصبحت فانت خير فتنى  
وضع الدواء مواضع العمال  
أو لا فحسبها ما شرفت به  
وتركت في دنياك من عمل

---

(١٦) الديوان ١٥٦/٢ وقد توفي قاسم في ٢٢ أبريل ١٩٠٨ ونشرت هذه القصيدة في ٦ من يونيو ١٩٠٨

والحقيقة أن هذه الابيات لاتكشف من بعيد أو قريب عن رأى لحافظ في الحجاب والسفور وأن تضمنت فكرة اجتماعية وتوجيها عقليا مديدا مؤداء انما يجب الا نتسرع في الحكم على الافكار والاراء ، بل يجب أن نأخذ أنفسنا بالاناه والصبر فالذى نعتقد أنه « جوهر الخطأ والخطيئة اليوم » قد يكون هو « قمة الصواب والسداد في المستقبل » . والرجل اذا أصاب فقد حقق الغاية واذا أخطأ فله من جلائل الاعمال ما يشفع له على حد قول الشاعر :

من يركب الهائل من أمره  
فغدره في ذلك المركب

وفي سبتمبر من العام نفسه يهنىء السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه ويستير الى عفوه عن معارضيه وعودتهم الى تركيا ويشير كذلك الى سفور النساء في تركيا واحتلاطهن بالرجال بما يوحى بعدم اعتراضه على هذا المسلك فيقول :

خلعوا الشباب على البشير وأخلقوا  
باللثم عهد خليفة الرحمن  
وتعانقوا بعد النوى كخمائل  
يحلوا بهن تعانق الافسان  
فترى النساء مع الرجال سوافرا  
لا يتقين عوادي الاجفان  
عجبًا لهن وقد خلقن أوانا  
يبرزن في فرح وفي احزان (١٧)

---

وقد يدعم هذا الفهم وذاك الایحاء أن «حافظ» حينما تحدث عن الحرية في البيت التالي مباشرة كنی عنها «بحاسرة اللثام» اذ يقول :

أهلًا بحاسرة اللثام ومن اذا  
سفرت عننا لجمالها القمران  
خطرت فعطرت المشارق عندما  
هبت نسائمها من البلقان (١٨)

ويأتى بعد ذلك رأى صريح لحافظ في هذه المسالة في القصيدة التي القاها بمدينة بورسعيد في ٢٩ مايو ١٩١٠ (١٩١٠) وهو رأى يعتمد على الحكمة الخالدة «خير الامور الوسط» بلا أفراط أو تفريط فيقول :

أنا لا أقول دعوا النساء سوا فرا  
بین الرجال يجلن في الاسواق  
يدرجن حيث أردن لا من وارع  
يحدرن رقبته ولا من واقى  
يفعلن أفعال الرجال لواهيا  
عن واجبات نوعهن الاحداق  
في دورهن شؤونهن كثيرة  
كشون رب السيف والمزراق  
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا  
في الحجب والتضييق والارهاق

---

(١٨) السابق نفس الصفحة .

(١٩) الديوان ٢٧٩/١ .

ليست نساؤكم حلٍّ وجواهراً  
 خوف الضياع نصان في الأحقاق  
 فتوسطوا في الحالتين وانصفووا  
 فالشر في التضييق والاطلاق  
 ريوا البنات على الفضيلة أنها  
 في الموقفين لهن خير وثاق  
 وعليكم أن تستبين بناتكم  
 دور الهدى وعلى الحياة الباقي

وكأنى بحافظ يرى أنه لا يمنع أن تتمتع المرأة بحظ من  
 السفور يعني كشف الوجه والخروج إلى الحياة العامة اذا  
 ما توفر فيها شرطان :

الأول : أداء رسالتها الاسرية المنزلية أما وزوجه وفتاه .  
 والثانى : أن تكون لها حجاب معنوى من الخلق والدين  
 والعلم والحياة .

ولا شك أنه رأى له قيمته ، وهو في مضمونه العام يتفق  
 مع روح الدين ورسالته التربوية والاجتماعية .

● ● ●

وفي سنة ١٩١٨ يرثى باحثه ثبادية ملك حفني ناصف  
 ( ١٨٨٦ - ١٩١٨ ) ( ٢٠ ) وهى التى ثبتت دعوة قاسم  
 أمين ، وأخذت نفسها بهذه الدعوة فعاشت طيلة حياتها تفضل

السفور على الحجاب ، وفي هذا الرثاء ينبع على السفور  
ويزري بالسافرات ويصفهن بالجهل والتجرد من المصنون والعنف  
والوازع الخلفي .

انى رأيت الجاهلات  
السافرات على خطير  
ورأيت فيهن الصيانة  
والعنف على سفر  
لا وازع وقد انطوت  
ملائكة يقيهن الخطير

وهكذا كان رأيه أو آراؤه في هذه القضية يحكمها التردد  
والحذر ويعوزها التحديد والجسم أو التعبير أدق هي اشعار  
لاتعكس رؤية واضحة ثابتة تسير في خط واحد للنهاية إنما  
هي نفحات ينتفض بعضها بعضا ومن ثم يمكن وضع صاحبها  
في صف أصحاب الفكرة أو المذهب الواحد .

والعجب أن شوفى - وهو أكثر من حافظ ثباتا  
واستقرارا في الرأى والاتجاه كان شأنه في هذه القصيدة شأن  
حافظ ترددًا بين الرفض والموافقة . فهو في رثائه قاسم أمين  
نجده في رفق وهواده - يرفض دعوة فاسق أمين إلى السفور  
ويرى في الحجاب تعففا وتصونا ولكن بلا مغالاة واسراف  
وتزمت حتى يتحقق الحجاب الحكمة التي شرعت من أجله .

يقول شوقى :

ان الحجاب سماحة ويسارة  
لولا وحوش في الرجال ضوار

جهلوا حقيقته وحكمة حكمه  
فتتجاوزوه الى أدى وضرار (٢١)

ولكن شوقى في قصيدة له نظمها بالاستانة عن ( كوك صو )  
وهو موقع طبيعى ذو خضرة وماء يدعوه صراحة السفور ويرى  
أن الحجاب الحقيقى هو « الحجاب النفسي الخلقى » وليس  
تغطية الوجه بالحرير أو الدمقس :

فقل لجانحين الى حجاب  
أتحجب عن صنيع الله نفس  
اذا لم يستر الادب الغوانى  
فلا يغنى الحرير ولا الدمقس

ولا شك أن شوقى قد تأثر في هذه القصيدة بمظاهر السفور  
التي رأها في تركيا بدليل قوله قبل ذلك في القصيدة نفسها  
مخاطبًا ماء ( جكسو ) .

وردتك كوثرا وسفرن حورا  
وهل بالحور أن أسفرن باس

ويعد أن يعني على دعاء الحجاب مشيرا إلى هؤلاء  
السافرات في « كوك صو »

تأمل هل ترى الا جلا  
تحس النفس منه ما تحس (٢٢)

---

(٢١) الشوقيات ٧٨/٣ .

(٢٢) الشوقيات ٥٣/٢ .

ولا يكتفى شوقى بهذه الدعوة الرقيقة بل يتخذ من النهي على الحجاب والدعوة الى السفور منطلقاً للدعوة الى حرية المرأة (٢٣) وقد شبهها بطائر :

أو هى جناحيه الحدي د وحز ساقيه الحرير  
ذهب الحجاب بصيره وأطاف حيرته السفور

ويصرخ في دعاء الحجاب مستنكراً أن يكون مصير المرأة الزواج والحبس في البيوت أكواخاً كانت أو قصوراً فكل ذلك سجن لهذا الطائر ينكره شوقى في شعره ويخلص من كل ذلك الى

أن السماء جديدة بالطير وهو بها جدير  
هي سرجة المشدود وهو سو على أنها أمير  
حرية خلق الانما ث لها كما خلق الذكور

ثم ينتهي الى الثناء على قاسم أمين ودعوته ، وكيف انتصرت دعوته وسارط مسرى الامثال فهى دعوة تعتمد على « الكلام العف والجدل الوقور والبيان الجزل والعلم الغزير ليس لكتاب والسنّة عليها نكير » . واذا كان حافظ قد بدأ متحمساً للسفور وانتهى كافراً به حاملاً عليه ، فعلى العكس من ذلك بدأ شوقى متحمساً للحجاب داعياً اليه وانتهى الى القناعة والاقتناء بالسفور والثناء على الداعي اليه الحامل لواءه قاسم أمين .

---

(٢٣) انظر القصيدة في الشوقيات ١٦٦/٢

## ٤ - قضية الشك والآيمان

وفي قصيدة حافظ الذى نظمها سنة ١٩١٧ في رثاء شبلى شمیل (٢٤) - (١٨٥٠ - ١٩١٧) الذى كان يتبني آراء دارون ، واشتهر في أواسط الفكر والادب - بالالحاد - نرى حافظا يدفع عنه تهمة الالحاد بداعيتين :

الاولى : ما في الكون من مظاهر وخفايا وأسرار تدفع الباحث في مسيرة بحثه - لعظمة ما يرى وتراميه في البعد والعمق - إلى الحيرة والشك .

الثانية : أن شك الباحث في هذا المجال ليس هو الشك الهادم بمفهومه الدارج أى الشك الذى ينكر قدرة الخالق بل ينكر وجوده إنما هو الشك الموصل لليقين ، أو الشك الديكارتى ، أو ما يسميه بعض المفكرين المسلمين بالشك الايراهيمى استنادا الى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « نحن أولى بالشك من ابراهيم اذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى . قال او لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

أن حافظ يقرر هذا الحكم في بيت واحد يستهله باستفهمان تقريره مخاطبا سبلى شمیل :

هل أتاك اليقين من طرق الشك فشك الحكيم بدء الصواب  
شك شبلى شمیل لم يكن وراءه كفر ولا الحاد . لم يكن  
شكا لذات الشك ، وانكار العقيدة والوجود الالهى ، لا شيء من

---

(٢٤) الديوان ١٨١/٢

هذا ، انما أنك ليصل الى المعرفة : وشك ليصل الى أعلى مراتب اليقين ، انه الشك المنهجى الديكارتى البناء .

ثم يفصل صورة « الشك المنهجى » فيقول :

أطلق الفكر في العوالم حرا  
مستطيرا يربغ هتك الحجاب  
يقرع النجم سائلاثم يرتد الى الارض باحثا عن جواب  
أعجزته من قدرة الله أسباب  
مستيرا يربغ هتك الحجاب  
وقفت دونها العقول حيارى  
وانثنى هبرزيها وهو كابي  
لم يكن ملحدا ولكن تصدى  
لشئون المهيمن الوهاب (٢٥)  
رام ادراك كنه ما عجز الناس  
قدি�ما فلم يفز بالطلاب

واضح أن حافظ قد مس هذه القضية مسا خفيقا فلم نجد له فيها رؤية خاصة لها قيمتها . انما نظر لمسائله في شكلها العام دون تعمق .

### ٣ - قضية الخير والشر

وقضية الخير والشر قضية فلسفية دينية ترتبط في جوهرها بالوجود الانساني واستقرار الناس وسلامهم على وجه البساطة .

---

(٢٥) كان شبلى شمبل ( ١٨٥٣ - ١٩١٧ ) في واقعة ملحدا اسالعا في اللحاد ، وكان يجهز باللحاد ويغفر به ولا يخفى .

وكانت مشكلة الخير والشر والصواب والخطأ هي أول ما واجه الانسان الاول في الوجود وهو آدم عليه السلام - بل كانت هذه القضية هي مدار حديث بين الله سبحانه وملائكته قبل أن يوجد الانسان على الارض « واذ قال ربكم للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحندك ونقدس له قال انى أعلم ما لاتعلمون » (٢٦)

ثم كانت الخطيئة الاولى أو الشر الاول وهو مخالفة ابليس للذات العلية في السجد لآدم (٢٧) .. ثم كان الخطأ الثاني مخالفة آدم لامر ربه فكما خرج ابليس من رحمة الله خرج آدم من الجنة ليعيش هو وأبناؤه « المعاناة البشرية » (٢٨) حيث بدأت ظاهرة الصراع تتجسد في أول خطيئة غيرية على وجه الارض وهي قتل قابيل لأخيه هابيل (٢٩) .

وكان أوتئك اشاره أزلية الى أن « الصراع » ضرورة وجودية لا يستبعـيـعـ الانـسـانـ أـنـ يـتـجـبـهاـ وـذـلـكـ رـاجـعـ إـلـىـ أـمـرـيـنـ :

الاول : طبيعة تكوين الانسان ذاته فقد جمع في كيانه الجسدي النقيضين : الشهوات الدنيا والسمو النفسي او الاشواق الروحية .

الثاني : طبيعة المعايشة والمختلاطـةـ وـمـاـ يـقـتضـيـهـ كـسـبـ العـيـشـ وـاثـيـاتـ الـوـجـودـ مـنـ التـطاـخـنـ وـالتـناـحرـ .. فالخير المحسـ مستـحـيلـ الـوـجـودـ فـيـ الـعـالـمـ الـأـرـضـيـ .

(٢٦) البقرة ٣٠ .

(٢٧) انظر البقرة ٣٤ .

(٢٨) انظر البقرة ٣٥ - ٣٦ .

(٢٩) انظر قصتهما في سورة المائدة ٢٧ - ٣١ .

وهذا « الصراع » هو أساس العمran وتقدم الحياة على الرغم مما فيه من مظاهر التدمير وهذا ما اشار اليه قوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض نفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٣٠) .

يقول الامام محمد عبده « أى لولا أن الله يدفع أهل الباطل بأهل الحق ، وأهل الفساد في الارض بأهل الاصلاح فيها لغلب أهل الباطل والافساد في الارض ويفعوا على الصالحين وأوقعوا بهم ، حتى يكون لهم السلطان وحدتهم فتفسد الارض بفسادهم فكان فضل الله على العالمين واحسانه الى الناس أجمعين أن أذن لاهل دينه الحق المصنعين في الارض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة والمعتدين فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان ، والله ناصرهم ما نصروا الحق وأرادوا الاصلاح في الارض . وقد سمي هذا دفعا - على قراءة الجمهور - باعتبار أنه منه سبحانه اذا كان سنة من سنته في الاجتماع البشري وسماه دفاعا - في قراءة نافع - باعتبار أن كلا من أهل الحق المصلحين وأهل الباطل المفسدين يقاوم الآخر ويقاتله » (٣١) .

وقد لخص حافظ هذا المعنى في قصيدة يرثى بها تلستوى فيقول :

أبت سنة العمran الا تناحرا  
وكدحها ولو أن البقاء يسير

---

٢٥١) البفرة (٣٠)

٤٩١/٢ تفسير المنار (٣١)

تحاول رفع الشر والشر واقع  
وتطلب محضر الخير وهو عسير (٣٢)

ويقول العقاد : يوم عرف الانسان الشيطان كانت فاتحة خير . . فقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز من قبل أن يعرف الشيطان بصفاته وأعماله وضروب قدرته وخفايا مقاصده ونياته (٣٣) .

وفي ذلك يقول حافظ ابراهيم :

ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم دليل على أن الله قادر  
ولم يبعث الله النبيين للهدا  
ولم يتطلع للسرير امير  
ولم يعشف العلياء حر ولم يسد  
كريم ولم يرج الشراء فقير  
ولو كان فيينا الخير محسنا لما دعا  
إلى الله داع أو تبلغ نور  
ولا قيل هذا فيلسوف موفق  
ولا قيل هذا عالم وخبر  
فكم في طريق الشر خير ونعمه  
وكم في طريق الطبيات شرور (٣٤)

---

(٣٢) الديوان ١٦٦/٢ .

(٣٣) العقاد : ابليس ص ٨

(٣٤) الديوان ١٦٦/٢ .

فوجود الشر جنبا الى جنب مع الخير دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى فهو قادر وحده على خلق المتناقضات والاختلافات مهما تعددت وهي أدل على قدرة الخالق من خلق المتشابهات أو المتماثلات ، وقد أدرك هذا المعنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان اذا رأى رجلا عبيا أقه قال :

أشهد أن خالق هذا وخلق عمرو بن العاص واحد .

لذلك كانت اصابة الانسان الخير كنزول الشر به كلاهما ابتلاء واختبار للانسان وقد قال تعالى : « ونبلكم بالشر والخير فتنة » (٣٥) .

والابتلاء بالشر مفهوم أمره ليكتشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ومدى ثقته في ربِّه . أما الابتلاء بالخير فأشد وطأة ان خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر .

ان كثيرين يصدرون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير : كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف ، ولكن قليلا هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة . . . كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل ، ولكن قليلا هم الذين يصبرون على الثراء والوجودان وما يغريان به من متاع وما يثيرانه من شهوات وأطماع . . .

ان الابتلاء بالشدة قد يثير الكرباء ، ويستحث المقاومة ويجدد الاعصاب ف تكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة

---

(٣٥) الانبياء ٣٥

والصمد لها ، أما الرخاء فيرخي الاعصاب وينميها ويقادها  
القدرة على اليفظة والمقاومة (٣٦) .

فوجـهـ الحـبـرـ فـيـ الشـرـ أوـ فـيـ وجـودـ الشـرـ - انـ صـحـ هـذـاـ  
الـتـعـبـيرـ - أـنـهـ قـوـةـ «ـ بـاعـثـةـ دـافـعـةـ »ـ فـهـوـ سـرـ بـعـثـ اللـهـ الـأـنبـيـاءـ  
وـالـرـسـلـ لـهـدـيـةـ الـبـشـرـيـةـ لـلـحـقـ وـالـخـيـرـ وـالـنـورـ وـالـعـدـلـ . . . وـالـشـرـ  
يـحاـوـلـ أـنـ يـقـعـدـ بـالـأـنـسـانـ وـيـشـدـ دـائـمـاـ إـلـىـ الـخـسـائـسـ وـالـمـارـاتـبـ  
الـدـوـنـ وـلـكـنـ اللـهـ بـرـحـمـتـهـ يـهـبـ الـأـنـسـانـ قـبـسـةـ النـورـ التـىـ تـزـرـعـ  
فـيـ أـعـماـقـهـ طـمـوـحـاتـ نـاشـطـةـ وـأـشـوـاقـاـ تـنـتـلـعـ دـائـمـاـ إـلـىـ الـفـكـاـكـ  
وـالـتـخـلـصـ مـنـ أـسـرـهـ وـعـضـ قـيـوـدـهـ . . . وـيـنـزـعـ الـمـحـكـومـ إـلـىـ قـيـادـهـ  
أـمـتـهـ وـحـكـمـهـ وـيـنـزـعـ الـحـرـ إـلـىـ الـعـلـيـاءـ وـكـرـيمـ الـنـفـسـ إـلـىـ السـيـادـةـ  
وـيـنـزـعـ الـفـقـيرـ إـلـىـ تـحـصـيلـ الـمـالـ وـتـكـوـينـ الـثـرـوـةـ تـمـرـداـ عـلـىـ  
أـسـارـ الـفـقـرـ وـذـلـةـ الـحـاجـةـ ،ـ وـلـوـ كـانـتـ الدـنـيـاـ يـحـكـمـهـ الـخـيـرـ  
الـمـحـضـ لـسـاتـ أـرـادـةـ الـأـنـسـانـ وـمـطـامـحـهـ النـزـاعـةـ إـلـىـ الـقـيـمـ الـعـلـيـاـ  
وـالـلـافـاقـ الـنـيـرـةـ وـلـاـ ظـهـرـتـ فـضـيـلـةـ الـعـلـمـ عـلـىـ الـجـهـلـ ،ـ وـلـاـ فـضـيـلـةـ  
الـخـبـرـةـ عـلـىـ السـذـاجـةـ . . . وـلـاـ قـيـمـةـ الـنـورـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـظـلـامـ .ـ  
وـفـيـ كـلـمـاتـ مـاـ أـصـبـحـ «ـ لـلـقـيـمـ الـعـلـيـاـ وـجـوـدـ »ـ لـاـنـ عـلـوـيـتـهـ نـابـعـةـ  
مـنـ سـفـلـيـةـ النـقـيـضـ . . . وـأـحـيـلـ الـقـارـئـ مـرـةـ أـخـرىـ إـلـىـ التـعـبـيرـ  
الـمـكـثـفـ الـجـامـعـ لـلـعـقـادـ «ـ الـخـيـرـ مـدـيـنـ فـيـ وـجـودـهـ لـلـشـرـ . . . فـلـوـلـاـ  
الـظـلـامـ مـاـ اـسـتـشـعـرـتـ نـفـسـ نـورـاـ . . . وـلـوـلـاـ الـأـبـلـيـسـيـةـ مـاـ كـانـتـ  
الـمـلـائـكـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـوـجـودـ »ـ .ـ

---

(٣٦) سـيـتـ قـطـبـ :ـ فـيـ ظـلـالـ الـقـرـآنـ الـمـجـلـدـ الـخـامـسـ ٥٣٠

#### ٤ - قضية الكفاعة في الزوجية (٣٧)

ويظل هذه القضية هو الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ( ١٨٦٣ - ١٩١٣ ) وكان بينه وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ المسادة الوفائية صلة مودة وصداقة فخطب الشيخ على ابنته صفية ، ورضبت الفتاة وسكت الاب ،

---

( ٣٧ ) الكفاعة شرط من شروط صحة الزواج . والكفاعة لغة تعنى المساواة والمراد بها في النكاح المساواة بين الزوجين في أمور مخصوصة يعتبر الاخلال بها مفسداً للحياة الزوجية ، وقد اختلف الفقهاء في هذه الامور . وهي عند الحنفية المعمول بمعذهبهم في مصر سته امور هي : النسب والاسلام والحرمة والمال والديانة والحرفة على اتفاق في بعض الامور واختلاف في بعضها . وقد اتفق أئمّة المذهب الحنفي على أن الكفاعة في النسب معتبرة عند العرب وعلى أن غير العربي ليس كفأاً للعربية ، والفرشى كفاء لكل عربية ولو كانت هاشمية ، ولكن روى عن محمد أنه استثنى بيت الخلافة كما روى عن أبي يوسف أن « المولى » ان اشتهر بفضل من علم أو أحرز من الفضائل ما يرفع مكانته عند الناس يصير كفأاً للقرشية بل الهاشمية . وقد أخذ بذلك في المذهب الحنفي ولذلك تقرر فيه أن العالم الأعمى كفاء للقرشية العربية بل العلوية الفاطمية لأن شرف العلم فوق النسب . وذهب زيد بن علي ومالك وروى عن عمر وابن مسعود وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز أنهم لا يعتبرون الكفاعة الا في الدين .

( انظر بتفصيل محمد أبو زهرة الاحوال الشخصية من ص ١٥٦ الى ص ١٦٨ وخصوصاً صفحتي ١٥٦ - ١٥٧ ) وانظر الصعيدي : القضايا الكبرى في الاسلام ص ٣٦٨ - ٣٨١ .

فعقد العقد في بيت البكري من غير علم الاب ، فرفع الوالد الامر الى المحكمة الشرعية طالباً فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الاسراف وقضت المحكمة بالحلولة المؤقتة بين الزوجين ، تم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤ ، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائي الشرعي في محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ اول اكتوبر سنة ١٩٠٤ ، وكان لهذه القضية ثورة في الرأي العام فانشرت بها الصحف واكثر فيها الشعراء (٣٨) ٠

وقد نظم حافظ ابراهيم قصيدة من خمسة وثلاثين بيتاً بهذه المناسبة عنوانها : ( زواج الشيخ يوسف صاحب المؤيد ) ليدلّى بدلوه في هذه القضية التي خاضت فيها السن وأقلامه . والحقيقة أن عنوان القصيدة لا يتفق مع مضمونها اذ أن أغلبها كان نقداً للمجتمع المصري أبرز به حافظ بعض ما يراه فيه من عيوب ونواقص . فيسجل على هذا المجتمع ضياع حق الاديب فيه وسلبيه المصريين في مواجهة الاستعمار ، ولهو الشباب وعيثهم والفجوة الهائلة بين الشباب والشيخوخ أو بين الابناء والاباء ، كما نعى عليه فساد الخلق وفساد الصحافة والنفاق والغدر والخيانة والكسل والخمول والتواكل . وكأنني بحافظ لم يترك نقية واحدة الا والصلتها بالمجتمع المصري . ولم تظرف قضية الزوجية الا بأقل من ثلث القصيدة . ولم يناقش الشاعر أصل القضية ومفهوم الكفاءة في الزواج ومدى اتفاقه او اصطدامه

---

(٣٨) انظر ديوان حافظ هامش ٢٥٦/١ واقرأ القضية برمتها في كتاب القضايا الكبرى في الاسلام للمرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي من ص ٣٦٨ - ٣٨١ ٠

بالقيم الانسانية وخاصة أن اشتراط الكفاءة في مسألة خلافية في الفقه الاسلامي حتى الذين اعتبروها شرطا من شروط صحة الزواج اختلفوا في مفهومها وحدودها ولكنه اكتفى بمس الموضع مسا حفيقا في صورة حكائية ثقيرية فكهة فيقول :

وقالوا (المؤيد) في غمرة  
رماد بها الطمع الاشعبي  
دعاه الغرام بسن الكهول  
فجن جنونا ببنت النبي  
فضح له العرش والحاملوه  
وضح لها القبر في يثرب  
ونادى رجال باسقاطه  
وقالوا تلون في المشرب  
وعدوا عليه من السيئات  
الوفا تدور مع الاحقاب  
وقالوا لصيق ببيت الرسول  
أغار على النسب الانجب  
وزكي (أبو خطوة) قولهم  
بحكم أحد من المضرب (٣٩)

ولكن حافظ ابراهيم يعود بعد تسع سنوات فيرثى الشيخ على يوسف في قصيدة أطول من السابقة يتحدث فيها عن جهوده وجهاده في ميدان الصحافة بصفة خاصة ولا يشير الى هذه القضية من قريب أو بعيد ولكنه يختتمها بفكرة انسانية تعتبر من أرقى القيم الانسانية ومؤداها أن العمل هو معيار الفضل

وأنه هو النسب الحقيقى الذى يشرف صاحبه ويرفع من  
قيمة فى قوله :

أبا بثينة نم يكفيك ما تركت  
فيينا يداك وما عانيت من تعب  
جاهدت في الله والوطن محتسبا  
فارجع الى الله مأجورا وفز وطب  
واحمل بيمناك يوم النشر ما نشرت  
تلك الصحيفه في دنياك وانتسب (٤٠)

### ثانياً : القيم الاسلامية

تحدث حافظ عن كثير من الفضائل والقيم الاخلاقية في  
تضاعيف عشرات من قصائده في المدح والتهانى والمراثى والوصف  
والاهاجى . . وهذا الجانب يحتاج وحده الى بحث مستقل  
ولكننا نقصد في السطور التالية الى بعض هذه الصفات والفضائل  
التي تنبثق أو ترتبط بجوهر الدين وأصوله ومثله العليا .

وشعره في هذا المجال يأخذ وجهتين :

**الوجه الاولى** : استنكار ما يتعارض مع الدين من خلق  
وعادات وتقاليد وضلالات .

**الوجهة الثانية** : الاشاده بالقيم الدينية وبيان محسنهها  
والدعوة الىأخذ النفس بها على مستوى الفرد والجماعة .

يحمل حافظ بشدة على كثير من البدع والضلالات التي  
تسوء الى الدين الحق ويشتند تكيره بصفة خاصة على هؤلاء

الذين يقدسون قبور الاولياء ويطوفون بها ما يطوفون ،  
كأنهم يخضونها بالعبادة من دون الله ، ويستصرخ الامام  
محمد عبده أن ينقد هذه النفوس المنحرفة ويطهرها من هذا  
الضلال فيقول :

امام الهدى انى ارى القوم ابدعوا  
لهم بدعنا عنها الشريعة تعزف  
رأوا في قبور الميتين حياتهم  
فقاموا الى تلك القبور وطوفوا  
وباتوا عليها جائدين كائمنم  
على صنم لاجاهيلية عكف (٤١)

وريما كان بؤس حافظ او لشعوره بالبؤس وهو يرى  
الاموال تتدفق على صناديق النذور وأعتاب «الاقطاب» بينما  
الاحياء - ومنهم حافظ - يعيشون في فقر ومسغيه حتى ليتمني  
أن يكون واحدا من أصحاب هذه الاضرحة الذين تجرى عليهم  
النذور والارزاق .. أقول ربما كان هذا البؤس - حقيقة كان  
او شعورا - هو الدافع الى هذه الفكرة الشديدة على هذا اللون  
من الرذائل . ونسمعه يقول :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم  
ويالف ألف ترزق الاموات  
من لى بحظ النائمين بحفرة  
قامت على أحجارها الصلوات  
يسعى الامام لها ويجرى حولها  
بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب بباب المصطفى  
وسيلة تقضى بها الحاجات (٤٢)

ويحمل حافظ بشده على صنف من العلماء والفقهاء لم يرعوا قيمة العلم وقداسة الفقه ، فسلكوا طريق النفاق والكذب والفتن والحقيقة في سبيل تحقيق أهداف وغايات دنيا فيقول :

كم عالم مد العلوم حبائلا  
لحقيقة وقطيعة وفرقان  
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه  
لمكيدة أو مستحل طلاق  
يمشى وقد نسبت عليه عمامة  
كالبرج لكن فوق تل نفاق  
يدعونه عند الشناق وما دروا  
أن الذي يدعون شناق (٤٣)

ويعرض حافظ لمرضى الدنيا ومطالبها الخيسة الذين يعتنقون فكرة الغاية تبرر الوسيلة من أطباء ومهندسين وأدباء لا يربون شرف المهنة وصيانة الامانة التي حملوها والرسالة التي تعهدوا بآداتها (٤٤) .

ومن هذا القبيل هؤلاء القادة الذين يتقدرون بالقيم الدينية والانسانية والنورع واعمالهم تناقض اقوالهم وكثير مقتا عند الله أن يقول الانسان ما لا يفعل ، فيقول مخاطبا عليوم

---

(٤٢) الديوان ٣١٨/١

(٤٣) الديوان ٢٨١/١

(٤٤) انظر السابق نفس الصفحة .

الثاني امبراطور ألمانيا وهو ينكر عليه اثارته الحرب العظمى  
وما ارتكبه فيها من فظائع :

أكثـر من ذـكر الـله تـورـعا  
وزعـمت أنـك مـرسـل وـأـمـين  
عـجـباً أـتـذـكـرـه وـتـمـلاـ كـوـنـه  
وـيـلاـ لـيـنـعـمـ شـعـبـكـ المـغـبـونـ  
وـكـذـلـكـ القـصـابـ يـذـكـرـ رـبـهـ  
وـالـنـصـلـ فـي عـنـقـ الذـبـحـ دـفـينـ(٤٥)

والظلم هو شر الظلمات ، وأبعدها أثرا في المجتمعات  
والظالمون لا يرعون حق المواطن ، ولا حق الدين ، فعلى  
أيديهم يخرب الوطن ويدمـر بـنيـانـهـ وـيـسـطـوـنـ - جـورـهـمـ علىـ  
أـبـنـاءـ وـطـنـهـمـ وـأـبـنـاءـ دـيـنـهـمـ وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ حـافـظـ :

لـهـ اللهـ عـهـدـ القـاسـطـينـ الذـىـ بـهـ  
تـهـدـمـ مـنـ بـنـيـانـاـ مـاـتـهـدـمـاـ  
اـذـاـ شـئـتـ اـنـ تـلـقـىـ السـعـادـةـ بـيـنـهـمـ  
فـلـاـ تـكـ مـصـرـيـاـ وـلـاـ تـكـ مـسـلـماـ  
سـلـامـ عـلـىـ الدـنـيـاـ سـلـامـ مـوـدـعـ  
رـأـيـ فـيـ ظـلـامـ القـبـرـ أـنـساـ وـمـغـنـماـ(٤٦)

ويرى حافظ في الدين رابطة من أقوى الروابط أن لم  
تكن أقوالها ، لذلك يفزع الى آل عثمان .. بل يسجل عليهم

---

(٤٥) الديوان ٨٥/٢

(٤٦) الديوان ١١٤/٢

وهم أخوانهم في الدين أن يتركوا مصر نهبة لست عمر يخالف  
أهل مصر في الدين والفضل والأخلاق والادب (٤٧) .

ولا تتعارض هذه الرؤية مع السماحة الدينية التي كان  
حافظ يدعو إليها ويلح في الدعوة إليها في مواضع كثيرة من  
شعره ويدعو كل ذي دين إلى توفير الدينين السماويين  
الآخرين فيقول :

فتفيئوا ظل المهلل فانه  
جم البرة واسع الاحسان

يرعى لموسى وال المسيح وأحمد  
حق الولاء وحرمة الاديان  
فخذوا المواثيق والمعهود على هدى  
التوراة والانجيل والفرقان (٤٨)

ويقول :  
يا قوم انجيل عيسى  
وأممة القرآن  
لا تقتلوا الدهر حقدا

فالملائكة للديان (٤٩)

ويتحدث عن الدستور ويطلب الملك فؤاد به ثم يقول :  
بأى محمد وبأى عيسى  
فعوذة وآيات الكليم (٥٠)

(٤٧) انظر الآيات ١١٩/٢ .

(٤٨) الديوان ٤٦/١ .

(٤٩) الديوان ٧٣/٢ .

(٥٠) الديوان ١٠٨/١ .

ويجمع في بيت واحد بين ممثلي الاديان الثلاثة في مقام  
وحدة المعاشرة والآلام التي عاشها الشعب المصرى تحت وطأة  
حكم ظالم فبقول مخاطبنا صدقى :

ودعا عليك الله في محرابه  
الشيخ والقسيس والحاخام  
لا هم أحرى ضميره ليذوقها  
غصباً وتنس نفسه الآلام (٥١)

وسماحة المسلم تدفعه الى أن يعترف بالفضل لأهل  
الفضل ويثنى على «مسرة» الشام مطران طائفة الروم  
الارثوذكس الذى كان يعني بالجرحى عندما اعتدى الاسطول  
الايطالي على بيروت سنة ١٩١٢ :

مسرة الشام انا  
اخوانكم ماحيننا  
ثقوا فانا وثقنا  
بكم وجئنا قطينا  
انا نرى فيك عيسى  
يدعو الى الخير فينا  
قربت بين قلوب  
قد أوشكنا أن تبيننا  
فأنت فخر النصارى  
وصاحب المسلمين (٥٢)

ويتغنى حافظ ابراهيم برأى الجماعة الذي يعتمد على

---

(٥١) الديوان ١٠٥/٢ .

(٥٢) الديوان ٧٥/٢ .

قاعدة الشورى فهو سر سعادة الامم ، أما الانفراد بالرأي  
والاستبداد به فيجلب لها الشقاء :

رأى الجماعة لاتشقى البلاد به  
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقها(٥٣)

ويفضل حافظ ملامح الشورى ويعدد فضائلها فيقول :

الفضل للشورى وتلك هي التي  
ترعى الهوى وتزد كل جماع  
هي لا تصل سبيلها فكأنما

خلق السبيل لها بغير نواحي  
هي لا براح ترد كيد عدوكم  
وتغل غرب الغاصب المجتاح

فتكتنعوا الشورى على استقلالكم  
في الرأى لاتوحيه نزعه واحى

ويد الاله مع الجماعة فاضربوا  
بعصا الجماعة تظفروا بنجاح(٥٤)

وإذا كانت الشورى هي أساس الحكم المديد وبقاء  
المجتمع الرشيد فان العدل هو صنوها الذي لايمكن أن تتحقق  
بدونه فالرعاية اذا ما اطمانت الى عدل الحاكم الى طاعتها  
ومساعدة السلام المجتمع ووقف صفا واحدا متعاونا في مواجهة  
اعدائه . وقد جمع حافظ بين قيم ثلاثة متراقبة وهي التعاون  
والعدل والشورى وهو يعني الملك الانجليزي أدوارد السابع  
بتتويجه فيقول :

---

(٥٣) الديوان ٦١/١ .

(٥٤) الديوان ١٠٢/٢ .

لا تعجبن لملك عن جانبه  
 لولا التعاون لم تنظر له أثرا  
 ماثل ريك عرشاً بات يحرسه  
 عدل ولا مد في سلطان من قدرا  
 خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا  
 على مرافقهم والملك قد سهرا  
 وتشاوروا في أمور الملك من ملك  
 إلى وزير إلى من يغرس الشجرا (٥)

لقد أفرد الاسلام الله بالعبادة ونهى عن تقديس الاوليات  
 وقبورهم وقد نعن النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود  
 « لأنهم اتخذوا قبور أوليائهم مساجدا » كما نظر الاسلام  
 الى العلماء على أنهم ورثة الانبياء وجعلهم في مرتبة عليا من  
 الفضل فقال القرآن الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون  
 والذين لا يعلمون » ، ولأنهم أعلم الناس وأوسعهم أفقاً كانوا  
 هم أكثرهم استجابه الله واتقاهم له « إنما يخشى الله من  
 عباده العلماء » وذم القرآن النفاق والتظاهر وحرم أن يقول  
 المسلم ما لا يفعل « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ونهى الاسلام عن الغش فقال نبيه - عليه السلام :  
 « من غش امتى فليس مني » وامر أن يخلص الانسان  
 في عمله ويعطيه حقه من الاتقان والتوفيق « ان الله يحب اذا  
 عمل أحدكم عدلاً أن يتلقنه » .

وعن التسامح الدينى يقول الله سبحانه وتعالى « ويجر  
 منكم شئان، قوم على الا تعذلوا اعدلوا هو أقرب للتفوى (٥٦) »

ويقول « لا ينهاكم الله عن الدين يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم عن دينكم أن تبروهم » (٥٧) .

ويأمر بالتعاون في الخير فيقول « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاشتم والعدوان » والحكم في نظر الاسلام منى على اساسين ركيتين : العدل والشورى .

- ان الله بامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .

- وشاورهم في الامر « وأمرهم شوري بنיהם » .

● ● ●

كل أولئك قيم تمثل مبادئ وقواعد جوهريه في الاسلام ردها حافظ والصح على بعضها الحاحا شديدا .. ونلاحظ على منهجه في معالجة هذه القيم ما يأتي :

١ - أنه قصير النفس في عرضها فهو لم يفرد واحدة منها بقصيدة كاملة انما يتناول « القيمة في بضعة أبيات » وفي تضاعيف قصائد أخرى اذا استثنينا مقطوعته « أضرحه الاولياء » (٥٨) وهى من أربعة أبيات .

٢ - أنه يعرض هذه القيم عرضا مباشرا في الغالب وبطريقة لامسة دون تعميق يستهدف بيان أثرا القيمة في النفوس الا على سبيل الاشارة والالماع .

---

(٥٧) المحتنة ٨ .

(٥٨) الزيوان ٣١٨/١ .

الفصل الخامس

# الصّور والأساليب

## الصور والأساليب القرآنية

كانت ثقافة حافظ الرسمية محدودة فهى لا تعدو دراسة في مكتب أو مدرسة ابتدائية ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الابتدائية (١) .

ولكنه عكف منذ شب على دواوين الشعر ، وأجزاء (الاغانى) بتخيلاها ويتمثلها ، ويعاود النظر فيها حتى بلغ من مختار الرواية ومصطفى الكلام ما لا غاية بعده ، ثم قناع من فروع الثقافة الأخرى بتنف من المسائل الاولية ينقلها عن السماع ويأخذها من الصحف اذا ظن أنها تدخل بوجهه من الوجوه فيما يعنيه من ابتکار الاسعار وصوغ القريض (٢) .

واشتهر حافظ بقوه حافظته من صغره حتى روى عنه بعض أصدقائه أنه كان يسمع قارئ القرآن في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقوله وبؤديه كما سمعه بالرواية التي سمع القارئ يقرأ بها (٣) .

ويقول عنه عبد العزيز البشري :

« ولم أر قط رجلاً أسرع منه حفظاً ولا أثبت حافظة، ولقد تقع له المقالة الطويلة أو القصيدة الفضفاضة فترى نظره

(١) أحمد أمين : مقدمة الديوان ص ٢٠ .

(٢) الزيارات : تاريخ الأدب العربي ٥٠٥ .

(٣) عبد الوهاب النجار : صفحة مجهولة من حياة حافظ : مجلة أبوابي ١٩٣٣ يوليو ص ١٣٢٤ .

يتب فيها وثبا حتى يأتي على فايتها ، واذا هو قد استظرف  
أكثر جملها أو أبياتها ان كانت قصيدة ، واذا هي ثابتة على  
قلبه على تطاول السنين (٤) .

ويقول عنه خليل مطران : حاضر المحفوظ من أفصح  
أساليب العرب ينسج على منوالها ويتميز نفائس مفرداتها  
وأعلاق حلاها (٥) .

يقع اليه ديوان فيتصفحه كله وحينما ظفر بجيده  
استظرفه (٦) وكانت محفوظاته تعد بالالوف ، وكانت  
لا تزال ماثله في ذهنه على كبر السن وطول العهد ، بحيث  
لا يمترى انسان في أن هذا الرجل كان من أعاجيب  
الزمان (٧) .

فإذا جلست البه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك  
وما يختار جيدا من القول حتى يرسم في حافظته ويبقى في  
ذاكرته ثم يتجلى ذلك في شعره (٨) .

يدل على ذلك ما يضمنه شعره من أمثلة عربية وشعر  
قديم مثل قوله :

(٤) ذكرى الشاعرين ١١ .

(٥)السندوبى : الشعراء الثلاثة ٣٥١ .

(٦) السابق ٣٥٢ .

(٧) زكي مبارك : حافظ ابراهيم ١٠٧ .

(٨) المقدمة : نفس الصفحة .

وأربو على ذلك الفخور بقوله

( اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا ) (٩)

وقد يكون ذلك في بيت كامل كما نرى في قصيده في  
عيد الدستور العثماني (١٠) في مجال الحديث عن جماعة  
الاتحاديين :

روت قول بشار فثارت واقسمت

وقادت الى عبد الحميد تحاسبه

( اذا الملئك الجبار صرخ خده

مشينا اليه بالسيوف نعاته ) (١١)

ويعجب بقول المعري :

والارض للطوفان مشتاقة

لعلها من درن تغسل (١٢)

فيقول حافظ :

رأيت رأى المعري حين أرهقه

ما محل بالناس من بغى وعدوان

لاتطهر الارض من رجس ومن درن

حتى يعاودها نوح بطوفان (١٣)

---

(٩) الديوان ١٠/١ والشطر الثاني للمتنبي وصدر البيت

وما الدهر الا من رواة قصائدى . ( ديوان المتنبي ٢٩٧ )

(١٠) الديوان ٤٨/٢ .

(١١) انظر ديوان بشار .

(١٢) المعري : لزوم ما لا يلزم ( اللزوميات ) المجلد

الثاني ٢٨١ .

(١٣) ديوان حافظ ١٤٠/١ .

ويلح حافظ على المعنى نفسه ويزداد اقترابا من بيت  
المعرى اذ يقول :

وأصبحت تشتق طوفانها

لعلها من رجسها تطهر (١٤)

ومحفوظ حافظ لايف عند القديم بل تتسع حفظه  
للجديد من الشعر ، وبتأثيره فيعارض قصيدة اسماعيل صبرى  
التي يهنيء بها الخديوى عباس حلمى الثانى بعيد الاضحى  
في يناير سنة ١٩٠٨ (١٥) ويضمن قصيده بيتا لاسماعيل  
صبرى . يقول حافظ :

صدق الذى قال فيه وحسبه

أن الزمان لما يقول مصدق

( لك مصر ماضيها وحاضرها معا )

ولك الغد المتحقق ) ( ١٦ )

---

( ١٤ ) ديوان حافظ ١١٢

( ١٥ ) انظر القصيدة في ديوان اسماعيل صبرى من ص ٥٤  
الى ص ٥٨

( ١٦ ) ديوان حافظ ٤٣١ . والبيت الثانى لاسماعيل  
صبرى ومن هذا القبيل أيضا اشارات حافظ الى مطالع قصائد  
لشوقى أو عناوين لها أو عبارات مثل قوله عينيته التى أنشدها  
يهنىء فيها شوقي بamarat الشعر :

( من أى عهد في القرى ) قد تفجرت

ينابيع هذا الفكر ألم ( أخت يوشع )

وفي ( توت ) ما أعيما ابتكار موفق

وفي ( ناشئ في الورد ) الهمام مبدع

( ديوان حافظ ١١٢ وانظر من ص ١٢٣ الى ص ١٢٦ ) .

ولكن ذلك وأمثاله يعد قليلا جداً إذا قيس بتأثير حافظ ابراهيم بالقرآن الكريم في معاناته وصورة وألفاظه وأساليبه .. وسنحاول أن نتتبع بعض بصمات القرآن الكريم في جانبين :

الاول : انصور والمعنى .

الثانى : الالفاظ والتراتيب .

● ● ●

من بوакير حافظ في الوصف قصيده الشمس وهو متأثر فيها إلى أبعد حد بآيات من سورة الانعام وهي تمثل مشهداً حوارياً بين ابراهيم وقومه وكانت أهم وسيلة له في افحامهم هي القمر والشمس في ظهورهما وأقولهما . تقول الآيات « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ول يكن من الموقتين . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافقين . فلما رأى القمر بازغا قبل : هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لا تكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازحة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أنى برئ مما تشركون أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » (١٧) .

نظم حافظ ابراهيم هذا المشهد القرآنى في قصيده الشمس (١٨) فيقول :

لاح منها حاجب للناظرين

فسوا بالليل وضاح الجبين

---

(١٧) الانعام من ٧٥ إلى ٧٩

(١٨) الديوان ٢٠٧/١

ومحى أيتها آيتها  
 وتبعد فتنه العالىين  
 نظر ابراهام فيها نظرة  
 ( قال أنى لا أحب الأفلين )  
 قال ذا روى فلما أفلت  
 ( قال أنى لا أحب الا فلين )  
 ودعا القوم الى خلقها  
 وأنى القوم بسلطان مبين  
 رب ان الناس ضلوا وغوا  
 ورأوا في الشمس رأى الخاسرين  
 خشعت أبصارهم لما بدت  
 والى الاذقان خروا ساجدين

والحقيقة أن القصيدة لاتحمل من الدلالة أكثر من تأثر  
 حافظ بالتصوير والأسلوب القرآنيين . . . وهو في هذه ال أبيات  
 وال أبيات التي تتلها لم يحاول أن يتعمق المسيرة العقدية  
 الإنسانية ويربط بينها وبين الوجود الانساني في وقتنا الحاضر  
 فأصبح مانظم أشبه ما يكون بالشعر التعليمي القريب في مأخذة  
 السطحي في مأتابه .

ويتأثر حافظ ابراهيم أكثر من مرة بقوله تعالى على  
 لسان الجن « وأنا لمسنا النساء فرجدنها مثلث حرسا شديدا  
 وشبها ، وانا كنا نقعدهنها مقاعد للسمع فمن يستمع  
 الان يجد له ثهابا رصدا (١٩) »

---

(١٩) سورة الجن ٨ ، ٩ ، ١٠

فيؤسس على هذا المضمون صورة ممتدة وهو يتحدث عن المدفع وأهواه فيقول (٢٠) .

ماكوكب الرجم هوى من عالى  
فمر كالفاكير سرى باليد  
على عنيد مارد محتمل  
مسترق للسمع فى ضلال  
من عالم التسبيح والاهوال  
أمضى وأنكى منه فى القتال

ويعرض حافظ الصورة مرة أخرى بأسلوب فيه جزالة وقوف جرس صخاب مما يتفق مع طبيعة المشهد الموصوف ، وهو هذه المرة يتحدث عن سفن الاسطول العثماني فيقول (٢١) .

وهي في الحرب قضاء سابق  
يدع الحصن تلالا ورجاما  
مانجوم الرجم من أبراجها  
اشر عفريت من الجن ترامى  
من مرماميها بأنكى موقعها  
لا ولا أقوى مراسا وعراما  
ويتحدث عن طائرة الطيار العثماني فتحى بك  
فيصفها بأنها :  
مثل الشهاب انقض فى  
أثار عفريت ونار (٢٢)

٢٠) الديوان ٢٠٩/١

٢١) الديوان ٦٣/٢

٢٢) السابق ٧٧/٢

ويستعين حافظ بما جاء في القرآن متعلقاً ببعض الأنبياء وهو يرسم صوره الشعرية ، والقليل النادر منها ما يمثل صورة شعرية كليلة أمّا أغلبها فصور جزئية تعتمد على الخيال التفسيري وخاصة ماجاء عن نبي الله سليمان وما ورد في سورة يوسف :

فهو بتحدى - على لسان بعض المتصوفة الى مشوقة  
شبيب قائلا له انه اذا تعرض لمكروه دعا اليه بساط  
سليمان يحمله عليه ، وتدفعه الريح المسخرة حتى يراه منه  
قريبا :

اذا خفت ما يخاف من اليم فرشنا لا خمسيك القلوب  
ودعونا بساط صاحب بلقيسي  
فليبي داعتنا مستجيبيا  
وأمرنا الريح تجري بأمر  
منك حتى نراك منا قريبا (٢٣)

ويهنىء سليمان أباظة (١٨٣٤ - ١٨٩٧ ) بالابراء  
من مرضه (٢٤) ويوظف عناصر أخرى من قصة سليمان نبي  
الله مع أنه ليس ثمة رابطة معنوية أو فنية تربط بين

(٢٣) الديوان ١٦١/١ . ويقول تعالى : « ولسليمان  
الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركتنا فيها وكنا  
بكل شيء عالمين » (الأنبياء ٨١) .  
ويقول تعالى : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها  
شهر ... » سبأ ١٢ .  
(٢٤) الديوان ٣٧/١

اللهنا والنبي أكثر من أنه سميه ، وفي ذلك ما فيه من  
الغلو والشطط وخصوصا في تحذير بعضه بعضا اذا ما أحس  
« سليمان أباظهه » يقول حافظ :

سليمان ذكرت الزمان وأهله

بعز سليمان واقبال دنياه

اذا سرت يوما حذر النمل بعضه

مخافة جيش من مواليك يغشاه (٢٥)

وان كنت في روض تختن طيوره

وصاحت على الافنان يحرسك الله

وكان (ابن داود) له الريح خادم

وتخدمك الايام والسعادة والجاه

ولسورة يوسف بصمات متعددة واضحة في صور الشاعر ،

يأتى ذلك أحيانا في شكل اشارات عاجلة يحكمها الافتعال فهو

يهنىء رفعت بك بوكته لمصلحة السجون ويقول له أنه

نو تولى هذا المنصب في عهد يوسف عليه السلام لتنمى أن

يبقى في السجن ولما طلب من صاحبه المفرج عنه أن يذكره عند

الملك حتى يأمر باخراجه من السجن :

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا

أيا ليتنى كنت السجين المصدا

---

(٢٥) يقول تعالى : « حتى اذا أتوا على وادي النمل  
قالت نملة يأيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان  
وجنوده وهم لا يشعرون » النمل ١٧ .

فلو كنت في عهد ابن يعقوب لم يقل  
لصاحبه اذكرني ولا تنسنني عدا (٢٦)

وي景德 الخمر في أبيات بعث بها لمحمد المولى حمي مضمونا  
خمريته قصة السجين الذي رأى في منامه أنه يعصر خمرا وفسره  
له يوسف بأنه سيخرج من السجن ويكون من ندامى الملك .

يقول حافظ (٢٧) :

خمرة قيل انهم عصروها  
من خدود الملاح في يوم عرس  
قد رآها فتى العزيز مناما  
وهو في السجن بين هم و Yas  
أعقبته الخلاص من بعد ضيق  
وحبتة السعود من بعد نحس (٢٨)

وواضح أن حافظ ابراهيم يستعمل ما يسمى في البلاغة  
بحسن التعلييل لأن الواقع يقول أن الخمر لم تكن هي السبب  
في خروجه من السجن .

---

(٢٦) الديوان ٣٣/١ يقول تعالى : « وقال للذى ظن أنه  
ناج منها أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في  
السجن بضع سنين » يوسف ٤٢ .

(٢٧) الديوان ٢٤١/١ .

(٢٨) جاء في مسورة يوسف « ودخل معه السجن فتيان  
قال أحدهما أنى أراني أعصر خمرا ... » ٣٦ . وجاء على  
لسان يوسف مفسرا الحلم « يا صاحبى السجن أما أحذكم فى مسكنى  
ربه خمرا ... » الآية ٤١ .

وحسن التعليل يعني ذكر سبب حيالى فيه جمال وطراة  
لامر من الامور أو ظاهرة من الظواهر .

وهو يشبه نفسه بيوسف عليه السلام حين صان نفسه من  
الوقوع في الفاحشة اذ أغرته امرأة العزيز ولقد همت به وهم بها  
لولا أن رأى برهان من ربها (٢٩) .

يقول حافظ في مدحته للبارودى :

فمالت لتغرينى وملأها الهوى  
فححدثت نفسى والضمير ترددًا  
أهم كما همت فاذكر أننى  
فتاك فيدعونى هواك الى الهدى (٣٠)

ويستقى حافظ بعض ملامح الجنة كما وردت في القرآن  
الكريم ليشبه بها مظاهر الجمال الدنيوي التي تأسره وتشد نظره  
ك قوله وقد رأى الزينة الكبرى التي أقيمت بحدائق الازبكية في  
مساء ٨ من يناير سنة ١٩٠١ بمناسبة الاحتفال بليلة عيد جلوس  
الخديجو :

أنى أرى عجباً يدعونا إلى عجب  
الدهر أضمره والعيد أنشأه  
هل ذاتك ما وعد الرحمن صفوته  
روض وحور وولدان وأمواه (٣١)

---

٢٩) سورة يوسف ٢٤ .

٣٠) الديوان ٩١ .

٣١) الديوان ٢١٢/١ .

ويقول في وصف ايطاليا أثناء زيارته لها :

أرضهم جنة وحسور وولدان  
كما تشهى وملك كبير (٣٢)

أما قوله تعالى : « ... حتى اذا أخذت الارض زخرفها  
وأزينت وظن أسلها أنهمقادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً  
 يجعلناها حصيداً كان لم تغن بالامس » (٣٣) .

فقد تأثر حافظ ابراهيم به في تصوير الزلزال الذي نزل  
ببلدة مسينا في جنوب ايطاليا وكان نتيجة ذلك أنها :

خسف ، ثم أغرقت ثم بادت  
قفى الامر كله في ثوانى  
وأتى أمرها فصاحت كان لم  
تك بالامس زينة البلدان (٣٤)

وفي صورة يكثر ذكر البيت الحرام والکعبة والحطيم  
والطواف والتسبيح .. الخ على نحو ما نرى في الابيات التالية :

- وأسمع في الدنيا دعاء بنصره  
يرددده البيت العتيق ويشرب (٣٥)  
- طف بالاريكة ذات العز والشأن  
وأقضى المناسك عن قاص وعن دان (٣٦)

• (٣٢) الديوان ٢٢٩/١

• (٣٣) يونس ٢٤

• (٣٤) الديوان ١٨/١

• (٣٥) الديوان ٢٨/١

- أقول وقد شاهدت ربك مشرقا  
وقد يمم البيت العتيق المحرما  
مشت كعبة الدنيا الى كعبة الهدى  
يفيض جلال الملك والدين منها (٣٧)
- أرأيت رب التاج في عيد الجلوس وقد تبدى  
وشهدت جبريلا يمد عليه ظل الله مدا  
ونظرت تطوف القلوب بساحة العرش المفدى  
وسمعت تسبيح الوفود بحمدة وفدا فوفدا (٣٨)
- أحيت ميت رجائنا بصحيفة  
سجدت برحب فتاها الأقلام (٣٩)

وعن قبر مصطفى كامل يقول :

- طوفوا باركان هذا القبر واستلموا  
واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم (٤٠)

ويتضمن حافظ شعره بعض الآيات القرآنية أو أجزاء منها  
والحقيقة أنه كان بارعا جدا في هذا التضمين فهو يضع الآية في  
مكانها من سياق شعره دون افتعال وتتكلف مثل قوله :

- ( قتل الانسان ما أكفره ) (٤١)  
طاول الخالق في الكون وسامي (٤٢)

(٣٧) الديوان ٥١ .

(٣٨) الديوان ١٤٤/١ .

(٣٩) الديوان ١٥٠/١ .

(٤٠) الديوان ١٦٠/٢ .

(٤١) سرة عبس ١٧ .

(٤٢) الديوان ٦٥/٢ .

وقوله :

أصيتم تراثا « والهاكم التكاثر » (٤٣)  
عن افسر العدا (٤٤)

وكثر من شعر حافظ مرصع بقوالب وألفاظ قرآنية ، وهي في شعره أكثر من أن تحصى اذ لا تكاد قصيدة من قصائده حتى خمرياته تخلو من كلمة قرآنية أو عبارة دينية أو اشارة تاريخية لعظيم من عظماء الاسلام . . . ونجتزء في السطور الآتية بعض الشواهد من شعره :

- فجرى فيه ما جرى من حديث  
كان بردا على الحشا وسلماما (٤٥)
- وان شئت عننا يا سماء اقلعى  
ويا ماعها فاكف ويا ارض فابلغى (٤٦)
- تلك التي يحررها الله  
به ازاء الازلام والانصاب (٤٧)

---

(٤٣) سورة التكاثر ١

(٤٤) الديوان ١٩٧/١

(٤٥) الديوان ٦٠/١ . يقول تعالى : « قلنا يا نار كونى  
بردا وسلماما على ابراهيم » الانبياء ٦٩ .

(٤٦) الديوان ١٢٧/١ . يقول تعالى : « . . . وقيل  
يا ارض ابلغى ماعك ويا سماء اقلعى . . . » هود ٤٤ .

(٤٧) الديوان ٢٦/١ . يقول تعالى : « يأيها الذين  
آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل  
الشيطان فاجتنبوه . . . » المائدة ٠٩

- فجعلت أمر الناس شورى بينهم  
وأقامت شرع الواحد الديان (٤٨)
- وضع الكتاب وسيق جمعهم الى  
يوم الحساب و موقف الاذعان (٤٩)
- ان تأتيا طوعا والا فأتيا  
كرها بلا حول ولا سلطان (٥٠)
- شاهدت مصرع أترابى فبشر  
بضجعة عندها روحى وريحانى (٥١)
- أنت « والشمس » (والضحى) والليلى  
العاشر ( والفجر ) غير راعى الذمام (٥٢)
- اقسم بالله واللائه بعرشه باللوح بالكرمى

- (٤٨) الديوان ٤٤/١ . يقول تعالى : « ... وأمرهم  
شورى بينهم ... » الشورى ٣٨
- (٤٩) الديوان ٤٦/١ . يقول تعالى « ... ووضع الكتاب  
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ... » الكهف ٤٩ . ويقول تعالى  
« ... وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ... » الزمر ٧١
- (٥٠) الديوان ٤٩/١ . يقول تعالى « ... ثم استوى الى  
السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتها طوعا او كرها قالا  
أتينا طائعين » ( فصلت ١١ )
- (٥١) الديوان ١٤٠/١ . يقول تعالى « ... فروح وريحان  
وجنة نعيم ... » الواقعة ٨٩
- (٥٢) الديوان ٢٠٢/١ . وهو هنا يقسم بما اقسم به الله  
تعالى في سور لشمس الضحى والفجر .

بالخنس الكنس في سبها  
 بالبدر في مرأة بالشمس (٥٣)  
 - داك الذي حكمت فيينا براعته  
 وأكرم الله والعباس مثواه (٥٤)  
 - به الريح لفاحة للوجوه  
 به الشمس نزاعة للشوئ (٥٥)  
 - قربوا الصلاة وهم سكارى بعد ما  
 نزل الكتاب بحكمة وجلاء (٥٦)  
 - فقضيناها ولم نحفل بما  
 سطرت أيدي الكرام الكاتبين (٥٧)  
 - سور عندي له مكتوبة  
 ودلوا يسرى بها الروح الامين (٥٨)

- (٥٣) الديوان ٢٩٧/١ . يقول تعالى « فلما قسم بالخنس ،  
المجوار الكنس » التكوير ١٥ . ويقول تعالى « والشمس  
وضحاها ، والقمر اذا تلاها .. » الشمس ١ ، ٢ .
- (٥٤) الديوان ٢١٣/١ . « وقال الذي اشتراه في مصر  
لامرأته أكرمى مثواه » يوسف ٢١ .
- (٥٥) الديوان ٢٢٣/١ . يقول تعالى « كلا أنها لظى  
نزاغة للشوئ » المارج ١٦ .
- (٥٦) الديوان ٢٣٩ . يقول تعالى « يا يها الذين آمنوا  
لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » النساء ٤٣ .
- (٥٧) الديوان ٢٤٤/١ . يقول تعالى « وان عليكم  
لحافظين كراما كاتبين » الانفطار ١١ .
- (٥٨) الديوان ٢٤٩ . يقول تعالى « نزل به الروح الامين  
على قلبك لتكون من المنذرين » لشعراء ١٩٣ .

- ان تقرضوا الله في اوطانكم فلكم  
اجر المجاهد طويبي للذى اكتبا (٥٩)
- اقرضوا الله يضاعف اجركم  
ان خير الاجر اجر مدخل (٦٠)
- والمحسنون لهم على احسائهم  
يوم الاثابة عشرة الامثال (٦١)
- فيها الحديد وفيه بأس  
يوم يمتهن الذمار (٦٢)
- وتواصوا بالصبر فالصبر ان فارق  
قوما فما له من مسد (٦٣)
- زرعت لنا زرعا فاخراج شطأه  
وبنت لما نجتن التمرات (٦٤)

- (٥٩) الديوان ٢٧٥/١ . يقول تعالى « ان تقرضوا الله  
قرضا حسنا يضاعفه لكم » التغابن ١٧ .
- (٦٠) الديوان ٣٠١/١ . يقول تعالى « من ذا الذي  
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له .. » البقرة ٢٤٥ -  
الحديد ١١ .
- (٦١) الديوان ٢٧٩/١ . يقول تعالى « من جاء بالحسنة  
فله عشر أمثالها » الانعام ١٦٠ .
- (٦٢) الديوان ٨٠/٢ . يقول تعالى « وأنزلنا الحديد فيه  
بأس شديد ومنافع للناس » الحديد ٢٥ .
- (٦٣) الديوان ٩٣/٢ . يقول تعالى « وتواصوا بالحق  
وتواصوا بالصبر » العصر ٣ .
- (٦٤) الديوان ١٤٥/٢ . يقول تعالى « ومثلهم في  
الانجيل كزرع أخرج شطأه .. » الفتح ٢٩ .

- حمت الى التاريخ بضع صحائف  
بپیضاء مثل صحائف الابرار (٦٥)
- واذکرى الوحشة في القبر فلا  
مؤنس فيه سوى تقوى القلوب (٦٦)

● ● ●

ونلمح كذلك في شعر حافظ تأثرا واضحا بالحديث الشريف  
وان كان ذلك في بعض مواضع مثل قوله مخاطبا الامام محمد  
عبدة رسموا بذلك للنواظر جنة .. محفوفة بمكاراة الاشعار (٦٧)  
 فهو متاثر بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : حفت الجنة  
بالمكاراة .

ومثل قوله عن شوفى :  
لقد شاب من هول القوافي ووقعها  
واتيانه بالعجز المتنزع  
كما شئت هود ذوابة أحمد  
وшибيت الهيجاء رأس المدرع (٦٨)  
فهو متاثر بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
( شيئاً هود وأخواتها ) .

● ● ●

- (٦٥) الديوان ١٥٥/٢ . يقول تعالى « كلا ان كتاب  
الابرار لفى عينين » المطفيين ١٨
- (٦٦) الديوان ٢٠٣/٢ . ويقول تعالى « وذلك ومن  
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » الحج ٣٢
- (٦٧) الديوان ٢٧/١
- (٦٨) الديوان ١٢١/١

وبعد هذه العرض لعلنا لا نكون مسرفين في الحكم اذا قلنا ان حافظ ابراهيم كان من اكثر شعراء العصر الحديث ان لم يكن اكثراهم في تأثير الاسلوب القرآني فكرا وتصويرا وتعبيرها .. وهو يفوق في هذا المجال بشكل واضح مع ان شوقي هو شاعر الاسلام الاول في العصر الحديث كما ذكرنا من قبل ، أما حافظ فمصر هي شاغله الاول بالامها وأمالها وقضاياها وأحداثها .. وهو حينما يعبر عن حدث اسلامي أو شخصية اسلامية فمصر لها المكان الاول فيما ينظم فهو « يمثل أمته في مدحه كما يمثلها في قصائده الاجتماعية » (٦٩) .

وتأسيسا على هذا الحكم في ظاهره على الاقل كان من المفروض أن يكون شوقي أقرب الى الاسلوب القرآني وأشد تأثيرا به من حافظ ولكن شعر كل منهما يقول عكس ما كان مفروضا ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها :

١ - أن حافظ أكثر « تراثية » من شوقي وحظه من الثقافة الاجنبية أو اللغة الفرنسية ضئيل جداً ، ولقد ذكرنا من قبل أن ترجمته لبؤسae هو جو كانت أقرب الى التاليف « منها الى الترجمة » وأن الموجز في الاقتصاد « تولى ترجمته كله خليل مطران وان وضع اسم حافظ مع اسمه على الكتاب » أما شوقي « فقد حذق العربية والفرنسية وتلقن التركية في بيته » (٧٠) .

(٦٩) شعراء مصر وبئاتهم في الجيل الماضي ١٩ .

(٧٠) د. شوقي ضيف : الادب العربي المعاصر في مصر ١١٤ .

ثم كان المثل الاعلى لحافظ هو محمود سامي البارودى رأس المدرسة الكلاسيكية الجديدة وباعت النهضة الشعرية وكان حافظ يدعوه «بأمير القوافي» (٧١) ويرى نفسه نلميذه في الطريقة وجمعت بينهما بعد ذلك بجامعة الالفه والمنودة «وفتاه» (٧٢) فتطاول طموحه منذ أخذ في نظام الشعر الى مقام البارودى (٧٣) وهناك بواعث كثيرة قربت بينهما فحافظ قد اختار حياة الجندي كما اختارها البارودى من قبله ، وحافظ كان مفطوراً كصاحب على ایثار الجزلة والاعجاب بالصياغة والفحولة في العبارة .. وكان الشيخ حسين المرصفى أستاذ الشاعرين وقد وظفهما في الرأى والنقد وتذوق الكلام (٧٤) .

من هنا كان حافظ أقرب الى «التراثية» من شوقي .. وكان شوقي أقرب الى «ال التجددية» والتاثير بالثقافات الأجنبية من حافظ فوجد حافظ ولا شك في العبارة القرآنية المثل الاعلى في التراثيات فطعم بها شعره وهو الذى كان - كما قال العقاد - « مفطوراً بطبيعة على ایثار الجزلة والاعجاب بالصياغة والفحولة في العبارة » .

٢ - وكان حافظ من أشد الشعراء حرضاً على اختيار المفهوم وتذوق الجرس الذي يقع في أذنه وفي نفسه حين

(٧١) ديوان حافظ ١٠/١

(٧٢) أنظر السابق ٩/١

(٧٣) ضيف السابق ١٠٤

(٧٤) العقاد / السابق ص ١٢

يختاره ، وكان حريضا على أن يكون الفاظه فخمة ضخمة تحرك المشاعر وتثير العواطف ، وكان أشد ما يكون حرصا على ذلك في مطالع قصائده يسعى وراء اللفظ فان لم يجد فيه القوة التي تثير احتفال على ذلك بالتكرار . يكرر اللفظ الواحد أو الجملة الواحدة مرة وأكثر من مرة ليثير السامع ويسترعى انتباذه ويجرفه معه تياره ويملك عليه عواطفه يصرفها كما يشاء (٧٥) .

كان هذا هو أهم الطوابع الفنية لحافظ وقد وجد في الكلمة القرآنية والأسلوب القرآني مثله الاعلى وطابته التي تغذي هذا الطابع فاللفظة القرآنية أسرة بفخامتها وضخامتها مثيرة بجرسها ورنينها ، والتكرار في القرآن سمة فنية للتأكيد وإثارة المشاعر ومن ثم جاءت مطالع قصائده بالذات مصطبعة بالصبغة الدينية ، يستعمل الفاظ الدين والقرآن ليجذب بها القلوب ويتصيد بها المشاعر وهو يعلم أن الصيغ الدينية لها في القلوب وفي الاسماع نغم محظوظ جذاب (٧٦) .

٣ - وثمة عامل آخر وجهه هذه الوجهة وهو قوة حافظته ، وقت مر بنا ما رواه بعض أصدقائه أنه كان في صغره يسمع قارئ القرآن في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقوله ويؤديه كما سمعه بالرواية التي سمع القارئ يقرأ بها ومر بنا ما قاله كل من البشري ومطران في قوة حافظته .  
ومثل هذا لا يستعصى عليه حفظ القرآن والقدرة على

(٧٥) أحمد الطاهر : محاضرات عن حافظ ابراهيم ٦٢

(٧٦) انظر الطاهر السابق ٦٢ .

اجترار ما يشاء من آياته وألفاظه وأعلامه وقصصه مستعيناً بها في شعره .. وهو يعلم أن القرآن هو قمة البيان والبلاغة وهو الذي أعجز العرب عن الاتيان بسورة من مثله .

أما شوفى فيظهر أنه لم يحفظ القرآن صغيراً ، ولم يتسع صدره - وهو الذي ولد بباب اسماعيل - مثل ذلك فيقول عبارة غريبة عابرة في ترجمته الذاتية « دخلت مكتب الشيخ صالح وأنا في الرابعة من عمرى ، وهى من أهلى جنایة على وجدى أغارها لهم » (٧٧) .

٤ - ومن أهم العوامل في هذا المجال اعتزازه بالامام محمد عبده وحبه له وحرصه على حضور دروسه ومجالسه وقد كان الامام حجة في الدين والتفسير والعلوم الشرعية . فلا شك أن يكون حافظ قد النقط منه في مجالسه الكثير والكثير وف ذلك يقول حافظ « فقد كنت الصق الناس بالامام أفشى داره وأرد أنها ره والتقط ثماره .. وكان يملأ علينا المجلس سحرا من آياته ويتنقل بنا بين مناطق الافهام ومنازل الاحلام ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلاق وحكمة الخالق .. ولم يزل ذلك همه رحمة الله يلقى في الازهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله (٧٨) أقول كل هذه العوامل تضافرت وكان لها ولاشك باللوى أو باللاوى - تأثيرا كبيرا في ترصيع شعره بالصور والكلمات القرآنية .

---

(٧٧) أحمد شوقى في تقديمته للشوقيات في طبعتها الاولى سنة ١٨٩٨ والثانية سنة ١٩١١ عن كتاب طه وادى: شعر شوقى الغنائى والمصرحى من ١٧٦ .  
(٧٨) ليالى مسطوح ١٢١ .

## المراجع

- ١ - أبيليس : عباس محمود العقاد  
دار الهلال . القاهرة - ١٩٥٨ .
- ٢ - الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي المعاصر :  
د. محمد محمد حسين  
ط ٢ - المطبعة النموذجية - القاهرة .
- ٣ - أحمد شوقي شاعر الوطنية : أحمد زكي عبد الحليم  
دار الهلال - القاهرة - ١٩٧٧ .
- ٤ - الاحوال الشخصية : الامام محمد أبو زهرة  
ط ٣ - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٥٧ .
- ٥ - الادب العربي المعاصر في مصر : د. شوقى ضيف  
ط ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧١ .
- ٦ - الادب وفنونه : عز الدين اسماعيل  
ط ٣ - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٧ - الادب وقيم الحياة المعاصرة : د. محمد زكي عشماوى  
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة (د.ث) .
- ٨ - أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجانى  
دار المنار . القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ٩ - أصوات على الادب العربي المعاصر : أنور الجندي  
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ١٩٧٩ .
- ١٠ - الاعلام : خير الدين الزركلى  
دار العلم للملائين ط ٤ بيروت ١٩٧٩ .
- ١١ - تاريخ الادب العربي : أحمد حسن الزيات  
ط ٢٦ - دار الثقافة بيروت - لبنان (د.ث) .

- ١٢ - تحرير المرأة : قاسم أمين
- ١٣ - مطبعة المكتبة الشرقية - القاهرة ١٩١٦ .
- ١٤ - تطور الادب الحديث في مصر : د. أحمد هيكل  
ط ٣ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٨ .
- ١٥ - تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار) : الشيخ  
محمد عبد  
الجزء الثاني - ط ٢ - مطبعة المنار بمصر ١٣٥٠ هـ
- ١٦ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الظاهرة :  
أحمد زكي صفت
- ١٧ - مصطفى البابي الحلبى - القاهرة (د.ث)
- ١٨ - حافظ ابراهيم : زكي مبارك  
الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٨  
(المكتبة الثقافية رقم ٣٥٠ ) .
- ١٩ - حافظ وشوقى : حسن كامل الصيرفى  
مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٩ .
- ٢٠ - حافظ وشوقى : طه حسين  
الهيئة العامة للمطبع الاميرية - القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢١ - حافظ ابراهيم الشاعر والسياسي : روائقيل مسيحة  
ط ١ - مطبعة الاعتماد بمصر - ١٩٤٧ .
- ٢٢ - حافظ ابراهيم شاعر النيل : عبد الحميد  
هارون الحلو  
المؤسسة المصرية العامة للنشر والكتاب .
- ٢٣ - حافظ ابراهيم شاعر النيل : عبد الحميد  
سند الجندي  
ط ٣ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨١ .
- ٢٤ - حافظ ابراهيم : ماله وما عليه : د. كامل جمعه  
مكتبة القاهرة الحديثة - القاهرة - ١٩٦٠ .

- ٢٣ - حياة حافظ ابراهيم : أحمد محفوظ  
مطابع الناشر العربي - القاهرة (د.ث) .
- ٢٤ - دراسات أدبية : د. أحمد هيكل  
ط ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠ .
- ٢٥ - دراسات في الشعر العربي المعاصر : د. شوقي  
ضيوف
- ٢٦ - الدين والأخلاق في شعر شوقي : على النجدي ناصف  
ط ٢ - مكتبة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة ١٩٦٤
- ٢٧ - الدولة العثمانية والشرق العربي : د. محمد أنيس  
مكتبة الانجلو - القاهرة - (د.ث) .
- ٢٨ - الديوان - عباس محمود العقاد - ابراهيم عبد  
القادر المازني
- ٢٩ - دار الشعب - القاهرة - (د.ث) .
- ٣٠ - ديوان أبي الطيب المتنبي : المتنبي أحمد بن  
الحسين بن حسن المتنبي  
صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها : عبد  
الوهاب عزام - دار انزهاء - بيروت - ١٩٧٨ .
- ٣١ - ديوان اسماعيل صبرى : تصحيح وضبطه :  
أحمد الزين  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة  
١٩٣٨ .
- ٣٢ - ديوان حافظ ابراهيم : حافظ ابراهيم  
ج ١ ، ٢ ضبطه وصححه : أحمد أمين  
أحمد الزين - ابراهيم الابيارى  
دار العودة للصحافة والطباعة والنشر - بيروت -  
لبنان (د.ث) .

- ٣٢ - ديوان عمر بن أبي ربيعة  
اللبنانية للكتاب - بيروت - ١٩٦٨ .
- ٣٣ - ذكرى الشاعرين : شاعر النيل وأمير الشعراء  
جمع وترتيب : أحمد عبيد  
مطبعة الترقى - دمشق - ١٤٥١ هـ .
- ٣٤ - ذكرى حافظ (شرح القصيدة العمرية) : مصطفى  
الدمياطى بك  
ط ١ - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٩٣٣ .
- ٣٥ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث : احمد أمين  
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٩ .
- ٣٦ - شاعر الشعب : د. سامي الدهان  
اقر١٢٠ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٣ .
- ٣٧ - شاعر العروبة والاسلام : احمد محرم  
ط ١ - مطبعة دار العروبة - القاهرة - ١٩٦١ .
- ٣٨ - شرح العلاقات السبع للزوزنى : أبو عبد الله  
الحسين بن أحمد بن الحسين  
دار نشر الكتب الاسلامية - لاہور باکستان (د.ث)
- ٣٩ - الشعراء الثلاثة : شوقي - مطران - حافظ  
تصنيف : حسن السندي
- ٤٠ - مطبعة الكتب التجارية - القاهرة ١٩٢٢ .
- ٤٠ - شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : عباس  
العقاد
- ٤١ - مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة - ١٩٧٣ .
- ٤١ - شعر شوقي الغنائى والمسرحي : د. طه وادى  
ط ٢ - دار المعارف - ١٩٨١ .
- ٤٢ - الشوقيات : احمد شوقي  
دار الكتاب العربى - بيروت - (د.ث)

- ٤٣ - شوقى شاعر العصر الحديث : د. شوقى ضيف  
٨٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢ .
- ٤٤ - شوقى : شعره الاسلامى : د. ماهر حسن فهمى  
٢٥ - دار المعارف - القاهرة
- ٤٥ - شوقى وحافظ : طاهر الطناحى  
دار الهلال - القاهرة - ١٩٦٧ .
- ٤٦ - شوقى وحافظ : عبد السميح المصرى  
دار الفكر الحديث للطبع والنشر - القاهرة (د.ث)
- ٤٧ - الشيخ محمد عبده امام المجددين في الاسلام : عبد  
الجود سليمان  
مطبعة مخيم - القاهرة (د.ث) .
- ٤٨ - الصورة الشعرية : سيسيل دي لويس  
ترجمة : د. أحمد نصيف الجنابى وأخرين  
من منشورات وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٩٨٢
- ٤٩ - العقد الفريد : لابن عبد ربه ( أبو عمر أحمد  
بن محمد الاندلسي )  
شرح وضبط وترتيب : أحمد أمين - احمد الزين  
ابراهيم الابيارى  
الجزء الرابع - مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ١٩٤٤ .
- ٥٠ - على هامش الادب والنقد : على ادهم  
دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٩ .
- ٥١ - في أصول الادب : أحمد أمين  
٣٦ - مطبعة الرسالة - القاهرة - ١٩٥٢ .
- ٥٢ - في الادب الحديث : عمر الدسوقي  
ج١ - ط ٢ - مطبعة لجنة البيان العربى -  
القاهرة ١٩٥١ .

- ٥٣ - في ظلال القرآن : سيد قطب  
 المجلد الخامس - ط٧ - دار احياء التراث العربي  
 بيروت - لبنان - ١٩٧١ .
- ٥٤ - قاسم أمين : د. ماهر حسن فهمي  
 مطبعة التربية والتعليم ١٩٦٤ .
- ٥٥ - قصص الانبياء : عبد الوهاب النجار  
 ط٢ - مطبعة مصر - القاهرة - ١٩٥٣ .
- ٥٦ - القضايا الكبرى في الاسلام : عبد المتعال الصعيدي  
 مكتبة الاداب بالجاميز - القاهرة - (٥٠٤)
- ٥٧ - قضايا معاصرة في الادب والنقد : د. محمد  
 غنيمي هلال  
 دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (٥٠٤)
- ٥٨ - لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) : أبو العلاء المعري  
 المجلد الثاني - دار صادر - بيروت - (٥٠٤)
- ٥٩ - محاضرات عن حافظ ابراهيم حياته وشعره :  
 أحمد طاهر  
 معهد الدراسات العربية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ .
- ٦٠ - محمد عبده : عباس، محمود العقاد  
 مطابع دار القلم - ١٩٦٣ .
- ٦١ - محمد في الادب المعاصر : النثر : فاروق خورشيد  
 الشعر : أحمد كمال زكي
- ٦٢ - المكتب الفنى للنشر - القاهرة - ١٩٥٩ .
- ٦٣ - المرأة الجديدة : قاسم أمين  
 مطبعة الشعب - القاهرة - ١٩١١ .
- ٦٤ - مقدمة ابن خلدون : (ابن خلدون) عبد الرحمن  
 بن محمد خلدون الخضري  
 دار الشعب - القاهرة - (٥٠٤)

٦٤ - مقدمة ديوان حافظ ابراهيم -  
أحمد أمين

٦٥ - مهرجان خليل مطران  
المجلس الاعلى للفنون والاداب - القاهرة ١٩٥٩ .

٦٦ - الموسوعة العربية الميسرة  
جماعة من كبار المؤلفين والمفكرين العرب

٦٧ - نظام الحكومة النبوية المسمى «التراثيادارية»  
ج ٢ للشيخ عبد الحى الكتابى  
بيروت - (د.ث) .

## الدوريات

- ١ - أبوتو يوليо ١٩٣٣
- ٢ - الرسالة ( القاهرة )
- ٣ - فصول : ( شوقي وحافظ : الجزء الاول ) المجلد الثالث : العدد الاول . ( أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٢ )  
مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة
- ٤ - فصول : ( شوقي وحافظ : الجزء اثنان ) المجلد الثالث : العدد الثاني . ( يناير / فبراير / مارس ١٩٨٣ )  
مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة
- ٥ - الكتاب .
- ٦ - مجلة المجمع العلمي العربي ( دمشق ) الجزء الثالث  
المجلد ٣١ .
- ٧ - مجلة المجمع العلمي العربي ( دمشق ) الجزء الرابع  
المجلد ٣١ .

---

رقم الایداع : ٢٩٧٠ / ٨٧

رقم دولى : ١٤٣٠ / ٩٥ / ٥ / ٩٧٧

---

# دار و هف تار لطبیعت و فلسفه

۱۹۷۰ - ۱۳۵۸ - ۲۲۰ - ۰۶۰ - ۰۶۰ - ۰۶۰